

# في الشخصية التونسية

كلمة

المقدم :

ليس أدق عند الباحث المتفكر والناظر المتدبر من أن يُحيط بما كان من الفكر مطلقاً ذا سعة ويُلَم بما كان من المعاني رَحْباً ذا عدة ، فما ظلك بمن رام استجلاء شخصية أمة أو قصد استقصاء نفسية شعب؟ لقد رام إذن حُدوداً مُعتَمداً وطلبَ عصياً مُتأبياً ، ذلك أن عناصر تلك الشخصية ومعالِمها وخصائص تلك النفسية ولامَحها إنما تنشأ على نحو عجيب مُتداخِل وتتشكل حسب سنن بَقيق مُتشابِك مُستزفدة بالتاريخ ومُتعطفاته أو مَفنونة بالحضارة وأنوارها أو مُفتنية من الإنسان وأطواره حتى تستقيم روحاً مُؤكِّلة مُتجانساً وكياناً مُتسقاً مُتأزماً .

\* \* \*

بقلم :

وإن كان البحث في الشخصية التونسية أمراً خَير ميسور ولا متاح بالنظر إلى قدم ما مرّ بالبلاد من حضارات وشعوب وكثرة ما تعاقب عليها من أسر وأجناس وما استتبع ذلك من قراء الرصيد وترويض المخزون وعزلة الإرث فإن ذلك لا ينفي إمكان تحسس المسألة من خلال استجلاء بعض معالم هذه الشخصية كما يعرضها الحاضر الحَيُّ المؤثّق ، والحاضر لا يؤطّرنا ببقية من الماضي تُحدث عن خباياه وتوطئة للذي تشبّع عن نواياه .

\* \* \*

ولعلّ أول ما يطالعنا من هذه المعالم والمياسم مكرمة من أجل ما تتحلّى به الشعوب وأسنى ما تزدهن به الأمم : قيمة التسامح تعني ، فحينئذ وليت وجهك في دراسة تاريخ تونس القديم البعيد أو الحديث المعاصر وجدت آثار التسامح ودلائله بادية في السلوك والمعاملات وفي السياسة والحكم وفي الديانة والمعتقد وفي الفن والأدب حتى أضحت هذه القيمة سليفة وفطرة وسجية وخلقاً .

\* \* \*

فقد تعايش على هذه الأرض فينيقيون ورومان وبربر وأعراب وإسبان وأتراك ومسلمون وكتابيون وعرب وإفرنجية نون أن يكون اجتماع هذه الأقوام والملل سبب عداوة أو مكارهة أو منغاة إحدٍ وخسفان . بل لقد أفادت الأجيال بعد الأجيال من ذلك التماهي الأليف



الحبيب  
الدريدي

بَيْنَ الْحَضَارَاتِ وَالْتِمَازِجِ الطَّبِيعِيِّ بَيْنَ الثَّقَافَاتِ فَصَهَرَتْهَا جَمِيعًا وَنَحَتْ  
مِنْهَا شَخْصِيَّةً مُتَمَازَةً مُتَفَرِّدَةً .

\* \* \*

وَإِذَا مَا تَأَصَّلَ خَلْقُ التَّسَامُحِ فِي شَعْبٍ فَإِنَّهُ يُقْبِضُ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنَ  
الْمَنَاقِبِ وَالْفَضَائِلِ وَيَزِيغُهُ بِحُجْمِ الْمَكَارِمِ وَالْمَخَايِلِ ، فَالْتَفَتَحَ وَالْحَوَارُ  
وَالْتَوَاصُلُ إِنَّمَا هِيَ سَلِيلَةُ التَّسَامُحِ ، عَنْهُ تَنْفَرَعُ وَتُورِقُ عُصُونُهَا وَمَعَهُ  
تَنْشَأُ وَيَشْتَدُّ عَوْدُهَا . وَلَا خَفَاءَ أَنَّ التُّونِسِيَّ أَقَامَ الدَّلِيلَ مِنْذُ الدَّهْرِ قَبْلَ  
الدَّهْرِ عَلَى أَنَّهُ - فِي مُحِيطِهِ الْإِفْرِيقِيِّ وَالْعَرَبِيِّ وَالْمَتَوَسُطِيِّ - أَكْثَرُ  
النَّاسِ تَفَتُّحًا وَأَقْدَرُهُمْ عَلَى التَّوَاصُلِ مَعَ الْآخَرِ وَأَسْبَقَهُمْ إِلَى الْحَوَارِ  
الْمُخْصِصِ الْبَنَاءِ وَالثَّقَافِ الرَّاقِيِ الْعَمِيقِ . وَكُنَّا إِنَّا هَذَا مِنْ قَبْلِ مَا  
وُطِنَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ إِيْمَانٍ بِالْإِنْسَانِ فِي بَعْدِهِ الْكُونِي الْمَطْلُوقِ وَمَا تَرَسَّخَ  
فِي وَجْدَانِهِ مِنْ وَغَيْرِ بَتَضَافُلِ فُرُوقِ الْجِنْسِ وَاللُّغَةِ وَالْعَقِيدَةِ أَمَامَ أَسْأَلَةِ  
الْمَعْدِنِ وَوَحْدَةِ الْجَوْهَرِ .

\* \* \*

وَالْتُّونِسِيَّ سَجَايَا كَثُرَ قَدْ يُضَيِّقُ الْمَجَالُ عَنِ الْإِفَاضَةِ فِيهَا ، وَلَكِنْ  
حَسِبْنَا أَنْ نَذْكُرَ مَا شَاعَ عَنْهُ مِنْ بَقَّةٍ فِي الشُّعُورِ وَرَهَافَةٍ فِي الْإِحْسَاسِ  
وَرَفَعَةٍ فِي الذُّوقِ تَشْهَدُ بِهَا نَفَاسُ إِنْتَاجِهِ وَمُنْتَجَبَاتِ إِيْدَاعِهِ فِي  
الْمُوسِيقِيِّ وَالْمَسْرُوحِ وَالسِّينِمَا وَالْفَنِّ التَّشْكِيلِيِّ وَيُؤَيِّدُهَا أُسْلُوبُهُ الْمُتَمَيِّزُ  
فِي بَلْقَى مَا يَبْدِعُهُ الْآخَرُ وَأَقْتِدَارُهُ الْمَشْهُودُ عَلَى تَخْلِيسِ الْجَيِّدِ  
الْمَتَسَامِي مِنَ الْمَسْفُوفِ الْمُتَهَافَتِ ، وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ النَّادِرَةُ وَالْثَّقَافُ  
الْأَتْيَقُ لَا يَتَحَاحَنُ إِلَّا لِلشُّعُوبِ الْعَرِيفَةِ فِي التَّمَدُّنِ وَرَاسِخَةِ الْقَدَمِ فِي  
التَّخَضُّرِ .

\* \* \*

إِنَّ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةَ التُّونِسِيَّةَ الْمُتَمَازَةَ حَقًّا بِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ مِنْ قِيمٍ  
إِنْسَانِيَّةٍ رَفِيعَةٍ عَلَيَّا وَمَاتَانِلَ فِيهَا مِنْ حُبِّ الْحَيَاةِ حَكِيمٍ نَاضِجٍ وَإِحْسَاسٍ  
بِالْجَمَالِ عَمِيقٍ مُتَبَسِّرٍ وَتَعَلُّقٍ بِالْحَقِّ وَالْخَيْرِ أَصِيلٍ مُتَجَدِّدٍ لَتَقْبِمْ الْحُجَّةِ  
الظَّاهِرَةِ وَالْآيَةِ الْقَاهِرَةِ عَلَى أَنْ تُونِسَ لَمْ تَكُفْ لَحْظَةً - عَلَى أَمْتِدَادِ  
تَارِيخِهَا الطَّوِيلِ - عَنْ أَنْ تَكُونَ عَاصِمَةً لِلثَّقَافَةِ وَالْحَضَارَةِ  
وَالْتَّمَدُّنِ .



## الهامة في القرن التاسع عشر :

ثورة أولاد عزيز . من أيام أولاد عزيز

1870 - 1875

بقلم : الضاوي خوالدية

### \* مدخل : العربان والسلطة المركزية في القرن التاسع عشر :

لعلّ ما يمكن إثباته بدءاً أنّ تاريخ تونس الطويل قد صنّعه ثلاث قوى :  
- قوة حاكمة / أسرة / أجنبية أو ذات جنور أجنبية ( فينيقيون ، رومان ، بيزنطيون ، فاتحون  
عرب ، ولاء ، أغالية ، فاطميون ... حفصيون ... أتراك ... حسينيون ، فرنسيون )  
- قوى أجنبية تهاجم عن طريق البحر أحياناً وتستعمر البلاد أحياناً وتترسّس بها أحياناً أخرى  
( الوندال ، الرومان ، النورمان ، الإسبان ، الأتراك ... إلخ ... )  
- قوة بدوية ريفية بربرية أصيلة البلاد فأعرابية تؤنّسها التاريخ عاشت في تصادم دموي مستمر  
مع حكامها الأعراب الجبّة ومخيلتها الأجانب .  
وقد تُخفّز القوى الثلاث في قوتين متناقضتين نوعاً : قوة أجنبية مهاجمة فحاكمة تقاومها قوة  
تونس الأعماق . إن كان ما أثّرناه قانوناً يحكم التاريخ التونسي فإنّ بحثنا : الهامة في القرن  
ثورة أولاد عزيز \* تبين بالفعل هذا القانون ، على اقتصاره على فترة زمنية محدودة .

كان الحسينيون ( 1705 - 1881 / 1957 ) يؤلّون البوادي والأرياف \* عناية خاصة \* لأنّ  
عدد سكانها يفوق عدد سكان المدن ( 1.100.000 نسخة منها 600.000 بوادي وأريافاً (1)  
وسمّتها البارزة - نتيجة لتوتر علاقتها بالسلطة ووضعها الاجتماعي والبيئي والاقتصادي ... -  
النهب والعصيان والثورات والصراعات القبلية المغايب من منطقة إلى أخرى داخل الإيالة ونحو  
بلدان مجاورة (2) ، وكونها مصدراً حيويًا للمال المُزادّة اللّغة إليه (المدن لا تدفع الجباية (3) ،  
كل هذه العوامل جعلت البايات يعملون بكل ما أوتوا من قوة على السيطرة على هذه المنطق  
بسلطة جهوية محلية فاعلة (عمال ، قياد ، خلفاوة ، مشايخ ، مجالس ضابطية ، فرق عسكرية  
مخزنية ... (4) وأُمّحال مؤدّبة جانبته وحملات عسكرية كاسحة (5) وسياسات دهائية ظاهرها \*  
إنصاف وحب \* وباطنها عذاب (6) ، لكن الأزمات الاقتصادية السياسية العنيفة المتتالية أواخر  
القرن الموازية بضعف البايات وترفعهم جعلت هذه السيطرة تضعف قليلاً فكانت ثورة 1864  
التي أنشجها الهامة - رغم أنّ المؤرخين لم يسجلوا أنّهم كانوا طرفاً فاعلاً فيها لظنّ وواصلوا  
إشعالها حتى 1881 وبعدها (7) لأن وضعهم الاقتصادي كان أكثر تردّياً من وضع غيرهم (8)

(1) **أولاد عزيز** : كنا أكنّا في كتابنا : الهامة : أولاد يويحي أن الهامة قبيلة كبرى تتكوّن من ثلاث عمارات : أولاد عزيز ، أولاد معمّر ، أولاد رضوان ، وكل عمارة / فصيلة تنقسم إلى بطون وأفخاذ وأسر ... (9) ولم نؤل ما جاء في كتاب : " لُوسَات قَالَانْسِي : الفلاحون التونسيون ... " أهمية كبرى فيما يخص شجرة الهامة قبيلة كبرى وشجرة كل عمارة هامة لأن جُزْ مصادرها شفوية (10) أما عن أين جاء الهامة تونس فالإتقان تام تقريبا بيننا وبين الكتّابة الكذكورة (11) ، ولعل تحديد مضارب أولاد عزيز وأرضهم ليس سهلا إذ هم يقطنون جنوب قصّة الشرقي ممتدّين شمالا شرقا حاوين أولاد شريط ، زانوش ، السند ، بوزيان ، المكتاسي ، الرقاب ... لكن سمة هذه العمارة ذات الفروع : أولاد عبد الكريم ، فطناسة ، الرداية ، أولاد بالهادي ، أولاد مبارك ، أولاد محمد ، البور ، الودائنية ، أولاد يحي ، أولاد تليجان (12) - كما وصفها أعداؤها - : التمرّد المستمر وقطع الطرق والفروسيّة ... (13)

(2) **ثورة أولاد عزيز . من أيام أولاد عزيز** : إن كان عنوان الملف " المعتمد في هذه الدراسة : " ثورات : ثورة أولاد عزيز من الهامة سنة 1291 هـ / 1874 ، ملف : 1053 مكرر ، صندوق 185 ، خزانة ( مكاتب الدولة ) : 19 ، فإن هذا المصطلح لم يكن الوحيد القارّ لدى ابن أبي الضياف في حديثه المسهب عن ثورة علي بن غدامه المعاصر له (14) إذ استعمل : " هرج ، عصيان ، فتنة ، تأمر ، مرض ، تعصب ، بقي ، ثورة " (15) أما محمد بيرم الخامس فقد استعمل ثورة في حديثه عن علي بن غدامه (16) وقد يكون هذان المؤرخان واعييين بهذا المصطلح وشروط إطلاقه لإطلاعهما " الواسع " على الواقع الأوروبي في القرن التاسع عشر غير أن قرب أحمد بن أبي الضياف من السلطة باعتباره مخزّنا يقزم هذه الحركة / الثورة مطلقا عليها تسميات تحط من قيمتها ويغد محمد بيرم الخامس عنها ( السلطة ) جعله يقومها ثورة تقويمه لثورات غربية شهيرة (17) ، إن كان هذا متعلقا بثورة علي بن غدامه أي ثورة الشعب التونسي العامرة على سياسة البايات الظالمة المتعصّفة فإن إطلاق اسم ثورة على رفض عمارة من قبيلة سياسة البايات وعصيانها أوامر سلطاتهم مقاومة قد لا تصحّ لذلك ملنا إلى تسمية ثانية هي : " من أيام أولاد عزيز الهامة " لأن في " الأيام " تأصيلا ومجداً وبطولة ( أيام العرب ) وعلاقة أوّثى بسيرة هذه العمارة :

**أ = الظرفيّة** : ما دامت الظروفيات حُقُولاً خصبّة لنشأة مسبّبات الظواهر والأحداث فإنّ إيلاءها أهمية ييسّر فهم إفرزاتها أسباباً ونتائج لذلك رأينا أن نحدد أولا الظرفية العامة لثورة القبائل العامرة 1864 فامتداداتها : ثورة أولاد عزيز ثم نبين ثانيا مركزين سياسة البايات الاقتصادية الإدارية الفاسدة التي أجهزت على الإيالة :

**ب = الظرفيّة العامّة** : إن تحسّن وضع البلاد عهد علي باي ( 1759 - 1783 ) ثم استقروا وازدهر عهد حمودة باشا ( 1782 - 1814 ) فإنّ وفاة الأخير قد دشّنت عهداً من التدهور المستمر لعل أبرز أسبابه : عدم تطور الهياكل الفلاحية (18) وبقاء الصناعات الحرفية يدوية واقتدار البلاد إلى أسطول تجاري خاص واحتكار البايات واتباعه التجارة واستقرار وضع أوروبا فتدخلها في بلدان المغرب العربي عسكريا واقتصاديا (19) وسياسيا وبذلك انقلب ميزان القوى

لصالح الدول الغربية مُساعداً - إضافة إلى ما ذكر - بالأويّة (20) وضعف البايات وانهاكهم في الترف (21) فكان التداين (22) وكانت محاولات التحديث : بناء القصور (23) والإكثار من العسكر (24) وإحداث اللّزم (25) والزيادة في الضرائب (26) والعجز المالي (27) وترتيب الأداء/ الإعانة / الضرائب (28) وجلب ماء زغوان (29) وزيادة المجبي (30) مما أدّى إلى الحرب الأهلية 1864 فالعصف والتشريد والانهيار الاقتصادي التام (31) فالاستعمار 1881.

- سياسة البايات الإقتصادية الإدارية الفاسدة : إن كنا أولينا هذا المبحث عناية خاصة في كتابنا " الهامة : أولاد بويحي " فإنه يحسن أن نجمله هنا للقارئ داعينه إلى الرجوع إلى الكتاب المذكور لمزيد التعمق (32) :

\* الخطط عامة في العهد الحسيني متوارثة :

- خطط مخزنّية سياسية إدارية ، دبلوماسية ، مالية ، عسكرية ( ابن عياد ، جلوي ، الأصرم ، بلهوان .... )

- خطط علمية ( بيرم ، ابن عاشور ، الشرفي ، الخوجه ... )

- خطط صوفية ( الولاية ) ( ابن عزّوز ، التليي ، الحلفاي ، المحرزي ... )

\* من أقدم الأسر المخزنّية وأقربها إلى البايات وأكثرها خطورة على البلاد وشراسة في الظلم والنهب والدهاء والاستغلال : أسرة ابن عياد التي منها :

- أحمد بن عياد ( ت 1786 ) خزندار علي باشا الذي هرب 1778 بجميع أموال الدولة إلى مصر ...

- محمد ( ت 1852 ) ومحمود ( ت 1880 ) ... أبنا عياد اللذان " قتلّا - كما قال الجنرال حسين ( ت 1887 ) - إياننا المسكين وسلباها حلالها الثمين " إذ توليا اللزامة العامة فأمسكا بذلك بخناق مداخيل المملكة والقبض لجميع أموالها بمرأى ومنسج من البايات الذين لا هم لهم غير المال والترف والعسف والتحديث المرتجل ... فانهارت الإيالة انهيارا شاملا بدت صورته واضحة للخائن والوطني ، يقول محمود بن عياد : " إن نولتنا صارت الآن كحائط مشرف على السقوط " ويقول الجنرال حسين : " إن حال المملكة كحال البقرة إذا حلب ضرعها حتى خرج الدّم فهي الآن ينزّو ضرعها بالدم وولدها بعصيبة والعطب أقرب إليها من السلامة " ... وكان العطب والسقوط رغم إقالة مصطفى خزندار ( ت 1878 ) الوزير فالوزير الأكبر وتعيين مكانه خير الدين باشا ( ت 1890 ) الذي تولّى مسؤوليات مهمة سابقا فحاول أن يصلح البلاد (33) لكن بدون جدوى لأن الفتق اتسع عن الرّائق .

بـ « الأسباب » : إن كانت الظروف الصعبة سبب الثورة العُربانية ( ثورة علي بن غدامه فتوة أولاد عزيز : الهامة ) فإن أسبابا أخرى قد تكون مؤجّبة ثورة أولاد عزيز : منها :

\* الانتفاضة في الجزائر :

- القوات الفرنسية تزحف نحو جنوب الجزائر 1844 بعد احتلالها منطقة الأوراس وانتقال الأمير عبد القادر ( ت 1883 ) إلى سوّف ، ثم استقارها ، بعد مجابهات دامية ، بوادي ريغ وسوف 1882 (34)

- مقاومة الجزائريين فرنسا تم أرجاء قطرم : ثورة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني وثورة أبي زيان بالواحات وثورة المقراني 1870 / 1871 وثورة بوعمامة بمنطقة سعيدة وثورة الشريف بمنطقة ورقلة وتوقرت وسوف (35) .

إن هذه الإنتفاضة التي مزّت الجزائر قد فعلت فعلها في تونس ( الحدود الخاصة ) (36) : اختلال الأمن ، تهريب الأسلحة والبارود ، تضامن بين الشعبين ، بروز روح جديدة للمقاومة ، تقاطر قبائل على البلدين في الاتجاهين (37) .

**\* استمرار الجذب بالجنوب الغربي التونسي :**

- حلت 1871 محلة رسمت بالهامة " المشاغبين " ذلك أن موسم 1870 كان مخيباً للآمال (38) مما جعلهم يرحلون لطلب الرزق حصّادين فاشتكى منهم 1871 أهل تيرسوق والقيروان (39) .

**\* تحدي أولاد عزيز السلطات وأهوانها :**

- نهّبوا مال الحكومة (40) فأرسلت إليهم محلة تأديبية جلّ رجالها همامة فانتصروا عليها (41) ثم التجأوا إلى الشبيكة شمال الجريد قرب الحدود الجزائرية ثم تظاهروا بـ "الاستكانة " دافعين للمحلة غرامة نهب أموال الباي وما تخلد بذمتهم سابقا من مجاب .

- بقية الهامة يتظاهرون بالاستكانة للحكومة 1874 إذ دفعوا لرسم قائد المحلة أموال الجبابة بعد أن أسر مائة منهم يسجن القيروان وتيقنوا " هم " أن الحدود الجزائرية مراقبة جيّدا (42) ممّا جعل خير الدين يطمئن مطمئناً الباي بأنّ الهامة لا يسعون إلى الاختفاء في الصحراء (43) لكن ما إن رجع رسمت حتى كانت المفاجأة : أولاد عبد الكريم يهاجمون الوديان قرب توزر وجلّ أسرى الهامة بالقيروان يفرون من السجن (44) فقرار خير الدين باشا الوزير الأكبر القضاء على أولاد عبد الكريم ( أولاد عزيز ) بإرسال محلة كبيرة على رأسها أحمد الجويني كاهية وجق الحاضرة : 1874/10/14 (45) .

**ج = المواجهات ، أولاد عزيز يواجهون قوتين متحالفتين : الباي وفرنسا .**

إن قراءة متأنية في ملف الأرشيف الوطني : 1053 مكرر صندوق 185 ، خزانه : 19 ذي 15 مكتوباً مؤرخة ما بين 29 رمضان 1291 ( 1874/11/9 ) و 25 شوال 1291 ( 1874/12/4 ) ، 14 ( مكتوب ) منها قد تُؤدّت بين أحمد الجويني قائد المحلة وخير الدين الوزير الأكبر ، وبينهما وبين حكام تبسة ويسكرة وقسنطينة ( ضباط فرنسيين كبار ) وأغة توقرت ووادرغ وسوف وقايد سوف ... ( جميعهم يتصرف بأمر حاكم الجزائر العام ) ، وواحد ( مكتوب ) قد أرسلت ثلاثة من أولاد عزيز باسم " الميعاد " وهم مسعود بن عيسى وأحمد بن علي وعمار بن محمد ، إلى أحمد الجويني يصورون فيه الحال التي أصبح عليها أولاد عزيز بعد معركة سبع أبيار ، تُتَبَيَّن :

- مسرح المواجهات : لقد جأب أولاد عزيز نور 800 خيمة و 500 فارس (46) والقنلى والجرحى والمؤن ... في ظرف أقلّ من شهر مناطق متباعدة جداً منها نكرا لا حصراً : سبع أبيار ، الشبيكة ونغراوة وسندس وشط الفرسة والكلاية ويوناب ونواحي تبسة ووادي ريغ وصحن الغوط بحاسي خليفة والعقلة الجديدة ونواحي يسكرة ونقرين وسيف عمار قرب سوف وسوف ومضارب أولاد

عيد ( أولاد سَمِيَّة ) ... بغية إتهام الملاحقين الكثر تعباً وضرباً خائفة والإستعداد للمجابهة الموالية ....

– استراتيجية المواجهة العزيزية : إن تجربة أولاد عزيز القتالية الطويلة ومعرفتهم بقدرات القوة المعادية المكونة من مخزن مأجور ومجندين ومدى صمودها جعلهم لا يسعون إلى المجابهة إلا متى رأوها مفيدة لهم موجبة للعدو ( ضربهم بقوة أولاد رضوان / أولاد سلامة " المجندين " في محلة الجويني (47) ويرومون الإحتواء بالمناطق الوعرة ( الشبيكة ، سبع أبيار ، الجبال الحدودية ... ) السبيخة ( الشطوط ) الصحراوية ... والتخفي ( السَّير ليلا ) والتَّمويه ( اتجهوا إلى تبسة فأصبحوا في سوف ) والتخفي لدى القبائل ( أولاد سمية ) .

– استراتيجية المواجهة الحسينية :

التحالف المتين مع فرنسا لتطابق المصالح : إرجاع من فرّ إلى تونس من القبائل الجزائرية والأفراد (48) وإرجاع من فرّ إلى الجزائر من القبائل التونسية ( ملف الارشيف مركز البحث ) مما أدّى إلى تعبئة جيشين محليين عدد أفراد التوتنة 1100 رجل ( 49 ) وعدد أفراد الفرنسية 700 رجل (50) وتبادل رسائل كثيرة عاجلة ( ملف الارشيف مركز البحث ) وبثّ عيون كثيرة في مناطق العمليات والإعلان أنّ الهدف " قطع مائة أولاد عزيز " ( تواتر هذا في الملف المذكور )

\* تعبئة جيش / محلة تونسية قوية ( بعض عناصرها من الهامة ذاتهم ) يقودها أحمد الجويني المتفاني في خدمة الحسينيين .

\* حرب دعائية تشهيرية : أولاد عزيز مفسدون ، محاربتهم أفضل من الجهاد في الكافرين ، إصاق ما يفعل الغير من شين بهم ( 51 ) ...

– أبرز المعارك : سنحاول الإلزام بأهم المعارك خاتمتها بمعركة سبع أبيار

– معركة ضد مخزن همامي (52)

– معركة الوديان (الأولى) (53)

\* معركة ضد بعض من محلة أحمد الجويني (54)

– مناقشات أولى مع محلة أحمد الجويني بسبع أبيار أدت إلى فرار بعض رجال المحلة (55)

\* مناقشات مع محلة آغة توقرت ووادي ريغ وسوف أسفرت عن فرار رجال المحلة لسماعهم بشجاعة أولاد عزيز (56)

\* معركة سبع أبيار : عدد القتلى من أولاد عبد الكريم 130 / 150 ؟ والمشرنون منهم والجرحى كثر أرجع جُلهم إلى تونس ( من الجزائر ) بعد أن أسروا وافتكت أسلحتهم من قبل القوات الفرنسية (57)

• نتائج الثورة . الأهم :

لم يكتف الصادق باي ووزيره الأكبر خير الدين " باشا " بهذه المذبحة المروعة ولا بما سلّطاه على أولاد عزيز من غرامات مالية ثقيلة أتت على كل ما يملكون وإنما قرّرا هذه المرة 1875/01/17 تهجيرهم وبعض البطون الأخرى من الهامة من أرض أجدادهم إلى شمال القيروان ( منطقة أولاد رياح ) عقابا لهم وترهيبا للآخرين لكن توطين هذه الجموع الهمامية

بالشمال كانت له مشاكل ( مشاكل مع رياح ومشاكل استغلال الأرض ... ) فاضطروا إلى تشتيتهم من جديد في جهات مختلفة : النغيضة ، تبرسق ، الوطن القبلي ... ومراقبتهم شديد المراقبة لكن الرّفص الهمامي جعل الباي يشدد الخناق عليهم مكلفا العمال 75/8/5 بشراء خيلهم أو افتكاكها الحد من تحركهم وجبرهم على تربية الماشية والزراعة لكن بدون جدوى إذ رجعوا إلى منطقة قمودة مارس 1876 (58) مستمرين في الثورة على البايات فحماتهم الفرنسيين .

#### \* الهوامش والمراجع :

1. ج . س . فان كريكين : خير الدين والبلاد التونسية ( ترجمة البشير بن سلامة ) تونس 1988 ص 50 .
2. أحمد بن أبي الضياف : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، النشرة الثانية ، الدار التونسية للنشر 1989 : ج 3 صص 44 - 45 وج 4 / 4 ، 88 ، 5 وج 6 ( تركيز ) وخير الدين والبلاد التونسية صص 226 - 239 و :
- Ganiage ( J ) : Les origines du Prokedorat francais en tunisie 1861 - 1881 ; MIE2ed 1986 pp 142 155
- 3 - ج قانياج ، ص 131
- 4 - الضايحي خوالدية : الهمامة : أولاد بويحي في القرن التاسع عشر من خلال مكاتيب القياد ، BTS تونس 1995 صص 85 - 63
- 5 - الهمامة : أولاد بويحي ص 61 وإتحاف 4 / 88 ، 44 و 5 / بداية من صفحة في مواضيع متعددة و 6 / 33 ..... 62 ... ، 82 ، ..... ، 84 ، ..... 102 ... والأرشيف الوطني : ملف 1053 مكرر صندوق 185 وكيف 4 و 5 ، وملف 207 صندوق 18 وثائق - 16852 ، 16853 ، 16858 ...
- 6 - إتحاف 3 / 109 - 113 ، 22 - 26 و 5 / 211 ...
- 7 - إتحاف 5 / 158 والهمامة أولاد بويحي : في مواضيع متعددة والأرشيف الوطني ملفات عديدة منها : ملف 1053 مكرر صندوق 158 : 15 وثيقة ...
- 8 - الهمامة : أولاد بويحي صص 38 - 43
- 9 - الهمامة : أولاد بويحي ص 8 وهامش 17 ص 23
- 10 - انظر : Lucette Valenci : Feilahs tunisiens l'economie rurale et la vie des com-pagnes aux 18 et 19 siecles ; Mouton - Paris La haye pp 45 et 43
- تجد أن المقترعين من مقام :
- أولا : أولاد ربيعة ( = أولاد عزيز وأولاد معمر )
- ثانيا : أولاد دريس ( = أولاد رضوان وأولاد سلامة )
- كما تجد العشاير المقترعة من رضوان
- 11 - الهمامة : أولاد بويحي صص : 6 - 8 والفلاحون التونسيون صص 35 ، 36 ، 46 ، 48 ( روايات شفوية )
- 12 - الهمامة : أولاد بويحي ص 91
- 13 - الأرشيف الوطني ملف 208 صندوق 19 وثيقة 17087 مؤرخة في 20 ذي الحجة 1287 ( 22 / 4 / 1870 ) : أولاد عزيز ينهبون حاملي نقود الجباية المتوجهين بها إلى تونس ، ملف 207 صندوق 18 وثيقة



- 16853 مؤرخة في 15 صفر 1284 ( 27 / 5 / 1869 ) : مسعي بن جلال ( القائد ) يعلم السلطة المركزية أن أولاد عزيز يثيرون له المتاعب لدى أولاد معمر . ملف 205 صندوق 18 وثيقة 16372 مؤرخة في جمادى الأولى 1278 ( نوفمبر 1861 ) : أولاد عزيز يغيرون على بني زيد والمحارسية والأعراس وماجر . ملف 1053 مكرر صندوق 185 ، وثيقة مؤرخة سنة 1874 تصف الصراع بين السلطة المركزية وفرنسا بالجزائر من جهة وأولاد عزيز الهامة من جهة ثانية ( هذه الوثائق هي مصدرنا الأساسي في هذا البحث )
- 14 - انظر الإتحاف 5 بداية من صفحة 127 والإتحاف 6 بداية من صفحة 77
- 15 - انظروا على التوالي في إتحاف : 134 / 5 ، 139 ، 151 ، 139 ، 169 ، 171 ، وإتحاف 6 / 40 ، وإتحاف 5 / 167 ..
- 16 - القطر التونسي في صفة الإعتبار ، تحقيق علي الشنوفي ، بيت الحكمة ، قرطاج 1989 ص 158
- 17 - انظر : صفة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار طبعات 1302 ، 1303 ، 1311 ، مصر تجد : ثورة روسيا في ج 1 ص 56 وما بعدها ، وثورة إيطاليا ج 3 ص 34 وما يليها وثورة فرنسا ج 3 ص 103 وما بعدها وثورة إنجلترا ج 4 ص 36 ...
- 18 - Emerit memoires inedites de l'abbe raynal sur la tinisie aux Revue tuni- siennes n 3 - 4
- Rousseau a Les annales tunisiennes ed Boustama Tunis pp 511 - 515 19-
- 20 - إتحاف 3 / 165 - 167 ( وقد تواتر الطعون في القرن
- 21 - إتحاف 3 / 123 ، 131 ، 191 ...
- 22 - إتحاف 3 / 219 - 22
- 23 - إتحاف 4 / 18 ، 157 ( مثالان )
- 24 - إتحاف 4 / 28
- 25 - إتحاف 4 / 35 ، 90 ..
- 26 - إتحاف 4 / 35 ، 48 ، 60 <http://Archivebeta.Sakhr.it>
- 27 - إتحاف 4 / 160
- 28 - إتحاف 4 / 227
- 29 - إتحاف 4 / 290
- 30 - إتحاف 5 / 128
- 31 - انظر إتحاف 6 / 125 - 142 تجد تلخيصا معمقا لسياسة البايات الاقتصادية ونتائجها المرومة بدءا ب 1818 ( عهد محمد باي ) وانتهاء ب 1868 ( عهد الصادق باي ) أردفه بإنشاء الكوميسيرات المالي ورايه فيه
- 32 - الهامة : أولاد بويحي حصص 33 - 38
- 33 - إتحاف 6 / 159 - 161 والقطر التونسي في صفة الإعتبار حصص 221 - 303
- 34 - العوامر ( ابراهيم بن محمد الساسي ) : العريف في تاريخ الصحراء وسوق الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1397 / 1977 حصص 247 ، 257
- 35 - الصرّوف ص 285 وخير الدين والبلاد التونسية ص 226
- 36 - خير الدين والبلاد التونسية ص 226
- 37 - خير الدين والبلاد التونسية ص 226
- 38 - الأرشيف الوطني : 208 - 19 ، 30 ربيع الأول 1285

- 39 - خير الدين والبلاد التونسية من 228
- 40 - الأرشيف الوطني : 248 - 19 وثيقة 17087 مؤرخة في حجة الحرام 1287 ( 22 / 4 / 1870 ) وخير الدين والبلاد التونسية من 228
- 41 - الأرشيف الوطني : 208 - 19 ، 20 ربيع الأول 1288
- 42 - خير الدين والبلاد التونسية من 229
- 43 - خير الدين والبلاد التونسية من 230
- 44 - خير الدين والبلاد التونسية من 231
- 45 - دفاتر جبائية : 2760 ، 3 رمضان 1291 وخير الدين والبلاد التونسية من 231
- 46 - خير الدين والبلاد التونسية من 231
- 47 - الأرشيف 1053 مكرر ، صندوق 185 ، 29 رمضان 1291 ( 9 / 11 / 1874 ) وخير الدين والبلاد التونسية من 231
- 48 - الأرشيف 1053 مكرر ، صندوق 185 ، 29 رمضان 1291 ( 9 / 11 / 1874 ) وخير الدين والبلاد التونسية من 231
- 49 - الأرشيف الوطني 1053 مكرر ، صندوق 185 ، 4 شوال 1291 ( 25 / 11 / 1874 )
- 50 - الأرشيف الوطني 1053 مكرر ، صندوق 185 ، 10 شوال 1291 ( 19 / 11 / 1874 )
- 51 - الأرشيف الوطني 1053 مكرر ، صندوق 185 ( لم يخل مكتوب من هذا التشهير )
- 52 - الأرشيف : 209 ، 20 ربيع الأول 1288
- 53 - خير الدين والبلاد التونسية من 231 ( تاريخ المعركة : أكتوبر 1874 )
- 54 - الأرشيف : 881 - 168 ، 11 رمضان 1291
- 55 - الأرشيف : 1053 مكرر - 185 ، 4 شوال 1291 ( 25 / 11 / 1874 )
- 56 - الأرشيف : 1053 مكرر - 185 ، 9 شوال 1291 ( 19 / 11 / 1874 )
- 57 - الأرشيف : 881 - 168 ، 12 شوال 1291 ، و 1053 مكرر - 185 ، وشوال 1291 ( 19 / 11 / 74 )
- وخير الدين والبلاد التونسية من 231
- 58 - دفاتر جبائية 19.2760 ذو الحجة 1291 و 13 ربيع الثاني 1292 وخير الدين والبلاد التونسية من 232 . /

# التغيير ورهان الانخراط في الدورة الاقتصادية العالمية

بقلم : لطفي بن عمر جمعة

شهدت البلاد التونسية في السنوات الأخيرة تحولات جذرية في العديد من المجالات مما جعل منها واحة أمن واستقرار ويفضل هذه الأسباب وسلامة المنظقات وصواب الخيارات التي وفرها العهد الجديد سجل الإقتصاد الوطني تطورا كبيرا منذ التغيير بعد الإصلاحات والنجاحات التي هيأت البلاد للانضمام إلى الاتفاقية العالمية للتجارة والإمضاء على إتفاقية الشراكة مع الإتحاد الأوروبي الأمر الذي سيمهد الطريق للإنخراط في الحركة الإقتصادية العالمية التي لا مناص منها للإنخراط فيها لكل من يتوق إلى التقدم والرقى \* (1) وهذا لا يتم إلا بالتأهيل الشامل الذي جعل منه صانع التغيير هدف هذه المرحلة ومحور المخطط التاسع كما وضع أمانة إنجاح هذا التحدي بأيدي التجمع الذي هو جدير بها \* وهو مدعو هذا اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى المثابرة على هذا الدرب والعمل على التعبئة الشاملة ونشر ثقافة العمل والإجتهد وتكامل جهود الأفراد والفئات ومختلف الأطراف من أجل البناء المشترك (2).

في هذا الإطار تنتزل هذه المحاولة التعريف بالتأهيل السنامي وبكل ما له صلة بهذه النقلة النوعية في المشروع المجتمعي للعهد الجديد.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

\* مفهوم التأهيل :

التأهيل هو مصطلح حديث برز إلى صدارة إهتمامات الدولة والأحزاب والمنظمات الوطنية والجمعيات ورجال الثقافة والإقتصاد كما ساد هذا اللفظ الخطاب الإقتصادي والسياسي في تونس بشكل ملفت للإنتباه وقد وفقت الأدبيات المتخصصة ووسائل الإتصال في ترويج هذا المصطلح إلى حد كبير ليشمل قطاعات وميادين متعددة (3) ولكن ما هو تعريف كلمة ( تأهيل ) في اللغة العربية ؟

جاء في لسان العرب مادة ( أهل ) : \* الأهل : أهل الرجل ، وأهل الدار ... وأَهَّلَ الرجل : إتخذ أهلا ... وهو أهل لكذا : أي مستوجب له ... وأهل الرجل وأهله : زوجته . وأهل الرجل يأهل ويأهل أهلا وأهولا لا تأهل : تزوج . وأهل فلان امرأة يأهل : إذا تزوجها فهي مأهولة والتأهل : التزوج (4) . واستهل الشيء استحقه ( وأنكرها بعضهم وجعلها بعضهم عامية ) (5) وأهله للامر: صيره أو رآه أهلا ( نقول ) \* كان الطالب يحمل شهادة تؤهله للعمل في التدريس \* وتأهل له : أصبح أهلا له ( فنقول ) \* تأهل الموظف للترقية \* (6) ونستنتج من المعنى اللغوي أن المعنى بالزواج أو التدريس أو الترقية صار أهلا وقادرا ومستحقا وليس معناه أنه كان قبل ذلك عاجزا ولكنه الآن صار قادرا تماما (7)

ولئن كان مفهوم التأهيل يسوده الغموض في العديد من الأذهان فإن محتواه ليس بهذا التعقيد فالتأهيل mise a niveau أو التأهيل الشامل mise a niveau globale هو " العمل على الإرتقاء بإقتصادنا بكافة مكوناته وبقدرات مجتمعنا في جميع المجالات إلى درجة من الإقتدار والكفاءة تضمن حظوظنا أمام المنافسة العالمية التي ستواجهها بلادنا في السوق الخارجية والوطنية " (8) أما تأهيل الإقتصاد " فهو الإنتقال ( به ) إلى مرحلة الكفاءة العالية والقدرة التنافسية المكتملة " (9) وفي صدارة القطاعات الإقتصادية المعنية بهذا التأهيل هي الصناعة وإذا قلنا الصناعة نقول المؤسسة التي هي مدعوة إلى التأقلم مع الواقع الجديد بكل تحدياته (10) وذلك بتحسين القدرة التنافسية حتى تكتسب القدرة على المنافسة على مستوى السوق الداخلية والأسواق الدولية سواء على مستوى الجودة والأسعار أو على مستوى تطور التكنولوجيا والأسواق (11) وليس المقصود مما تقدم أن المؤسسة التونسية غير مؤهلة وإنما هي مدعوة إلى مواكبة التغيير والتحول الذي يعيشه المحيط الوطني كما أنه ليس المقصود من التأهيل بلوغ مستوى المؤسسة الأوروبية التي هي بدورها تحتاج التأهيل عملية متواصلة وليست ظرفية ولا تعني الدول النامية بل حتى الاقتصاديات المتطورة إذ أن الجميع يسعى للوصول إلى مستوى المنافسة العالمية (12)

### \* التأهيل للتأهيل الشامل :

شهد الإقتصاد التونسي كغيره من الإقتصاديات جملة من الإصلاحات الهيكلية أوجبتها التحولات الجذرية التي شهدتها العالم ، من انهيار المنظومة الاشتراكية إلى عولة إقتصاد السوق وقيام التكتلات الإقتصادية وزوال الحواجز الديوانية . وهبات لها التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها تونس . ووفرت لها أسباب النجاح رغبة المجموعة الوطنية في تهينة الظروف الملأمة لإقحام الإقتصاد بثبات في الدورة العالمية والإرتقاء بتونس إلى مصاف الدول المتقدمة في مطلع القرن الواحد والعشرين .

### 1 - إعادة هيكلة الإقتصاد :

أقرت تونس برنامج إصلاح هيكلي واسع النطاق تضمن إلى جانب إجراءات قصيرة المدى ترمي إلى الحد من تدهور الوضع ، مجموعة من الإصلاحات الهيكلية الهادفة إلى ملائمة الإقتصاد مع الوضع الجديد السائد وذلك بإضافة مزيد من المرونة على نوايب الإقتصاد وتحرير المبادرات ورد الإعتبار لآليات السوق ولقد مثل هذا البرنامج حجر الزاوية لفترة ما بين 1987 إلى 1991 وقد شملت الإصلاحات الهيكلية ميادين حساسة أبرزها :

- تحرير الإستثمار من إجراءات المصادقة المسبقة ومراجعة مجالات الإستثمار
- التدرج نحو تحرير الأسعار في مستوى الإنتاج والتوزيع
- الشروع في تحرير الواردات برفع القيود على مواد التجهيز والمواد الأولية ونصف المصنعة
- قطع أشواط هامة على درب الإصلاح الجبائي بإقرار الأداء على القيمة المضافة والأداء الوحيد على المداخل
- الشروع في إصلاح الجهاز النقدي والمالي

- انطلاق برامج خوصصة المؤسسات العمومية وإعادة هيكلتها في إطار مراجعة دور الدولة وطرق تدخلها

أما فترة ما بين 1992 و 1996 فقد تمحورت فيها أبرز أوجه السياسة الاقتصادية والمالية حول العناصر الأساسية التالية :

- دعم القدرة التنافسية للاقتصاد التونسي بتحرير التجارة الخارجية والأسعار  
- إصلاح الجهاز المالي بتعزيز دوره في تعبئة الموارد وإحكام توظيفها مع المساهمة بفاعلية في تحقيق تفتح الإقتصاد على الخارج وإدماجه ضمن الدورة العالمية والإعتناء بالإجراءات التكميلية النهوض بالإندثار والإستثمار .

- مراجعة مختلف الأنظمة لتشجيع الإستثمار قصد ملاءمتها ومقتضيات تلك المرحلة  
- تكثيف العمل في مجال خوصصة وإعادة هيكلة المؤسسات العمومية بما يضمن التكامل والتناسق بين القطاعين العام والخاص

- إحكام التصرف في المديونية الخارجية ومراجعة أساليب التعاون الدولي  
- إعطاء بعد جديد لسياسة التكوين والتشغيل تتلاءم ومقتضيات المرحلة التي دخلها المسار الإنمائي (13) .

## 2 - التوقيع على إتفاقية التجارة الدولية (الغات)

لقد مكنت الإصلاحات والإنجازات الإقتصادية من الإنضمام إلى الإتفاقية العالمية للتجارة المعروفة ( بالغات ) وهي إتفاقية تحصر التوريد من القيود غير القمرقية ولا تترك من الحماية إلا الناحية القمرقية ولكن حسب معالم قصوى وتتأقصد تدريجياً فهي أولاً تمكن كل الدول المنضمة إليها من مهلة لإلغاء القيود غير القمرقية ثم في وقت لا حق القيود القمرقية وتمكن ثانياً البلدان النامية من وضع خاص نظراً لهشاشة إقتصادياتها وتعطي ثالثاً مجمل الدول فرصة لمواجهة عمليات إغراق الأسراق التي قد تتعرض لها من خلال مجموعة من الإجراءات الملانة وتمنح رابعاً حماية خاصة ووقتية للدول المنخرطة فيها لمواجهة إختلالات ميزان الدفعات فهي حماية معقولة ومرة وتتلاءم مع كل الأحوال (14)

## 3 - التوقيع على إتفاقية الشراكة التونسية - الأوروبية

بعد التوقيع على إتفاقية التجارة الدولية ( أفريل 1994 بمراكش ) المؤسسة للمنظمة العالمية للتجارة أصبحت مراجعة إتفاقية 1976 الموقعة بين تونس والإتحاد الأوروبي ضرورة لعدم إستجابة هذا الإتفاق القديم لشروط إتفاقيات ( الغات ) خصوصاً وإن هذه الإتفاقية تنتهي سنة 1995 فقد عملت تونس تماشياً مع النداء الذي كان توجه به سيادة الرئيس من أعلى منبر البرلمان الأوروبي على فتح مفاوضات مع الإتحاد الأوروبي تهدف إلى إبرام إتفاق شراكة لا يقتصر على المجالات التقليدية فحسب وإنما يتيح كذلك الإندماج في الفضاء الإقتصادي الأوروبي وقد أفضت المفاوضات التي جرت في هذا الغرض إلى إبرام إتفاق شراكة بين الجانبين (15)

## - إتفاقية الشراكة إستعداد الإقامة بمنظمة للتبادل الحر

يعد إمضاء تونس على إتفاق التبادل الحر بينها وبين الإتحاد الأوروبي في 17 جويلية 1995 حدثا بالغ الأهمية لا على المستوى الإقتصادي فحسب بل أيضا على المستوى السياسي الحضاري وتمتد تونس أول بلد من جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط يوقع مثل هذا الإتفاق الذي يضمن إنشاء مرحليا لمنطقة تبادل حر على امتداد 12 سنة تعمل خلالها تونس على التخفيف التدريجي من الإجراءات الجبائية تجاه الواردات الصناعية من بلدان الإتحاد الأوروبي كما يضمن هذا الإتفاق تعاونا إقتصاديا وماليا وتحرير تبادل البضائع بهدف تحرير الخدمات (16) وستتم مسيرة رفع الحماية على مراحل مختلفة حسب 4 قوائم هي :

- القائمة الأولى سترفع فيها الحماية القمرقية تماما وحاليا (1996) وتخص معدات التجهيز غير المصنوعة محليا وهي تمثل حوالي 12 ٪ من وارداتنا  
- القائمة الثانية سيدوم فيها رفع الحماية القمرقية على 5 سنوات وبعد السنة الأولى من الإتفاقية وتهم المواد الأولية وتمثل تقريبا 28٪ من وارداتنا  
- القائمة الثالثة وهي تدوم 12 سنة لرفع الحماية وتهم المواد المصنعة محليا والمتمتعة بقدرة تنافسية وتمثل تقريبا 30٪ من الواردات

- القائمة الرابعة والأخيرة وتستدعي أيضا 12 سنة مع 4 سنوات أولى معفاة  
هذا علما بأن منطقة التبادل الحر تعني أولا القطاع الصناعي وإن القطاع الفلاحي وقطاع الخدمات سيقع التفاوض بشأنها في غضون 5 سنوات بعد بداية إقامة منطقة التبادل الحر (17)

**\* التأهيل الشامل :**  
مكنت التحولات والإنجازات المذكورة أنفا من رفع شعار التأهيل الشامل الذي يعد الأداة المناسبة أرفع تحدي التحرر الإقتصادي التونسي وإنجاح تطبيق إتفاق الشراكة المبرمة بين تونس والاتحاد الأوروبي . هذا وقد إنتقل الحديث عن التأهيل من مجال التحسيس إلى ميدان التطبيق الفعلي مع بداية سنة 1996 ويشمل التأهيل ما بين تأهيل محيط المؤسسة وتأهيل المؤسسات الصناعية الذي يشمل 4 آلاف مؤسسة على إمتداد 10 سنوات إلى تحسين القدرة التنافسية في السوق الداخلية والدولية وقد انطلق تطبيق برنامج التأهيل الصناعي ببرنامج نموذجي سيشمل 400 مؤسسة كل سنة . فما هو محتوى هذا البرنامج ؟

## 1- برنامج تأهيل المؤسسات

### - أهداف البرنامج

يهدف برنامج التأهيل إلى تمكين المؤسسات التونسية من التكيف مع متطلبات مرحلة التبادل الحر مع الإتحاد الأوروبي وحتى تتمكن من ذلك لا بد من أن تصبح المؤسسة ذات قدرة تنافسية على مستوى السعر والجودة بالإضافة للقدرة على التحكم في التقنيات واستيعاب تطوراتها وتطور الطلب الأوروبي على المنتج التونسي ولتحقيق ذلك سيسعى البرنامج لمساعدة المؤسسات على مراجعة طرق تنظيمها وتسييرها وتكوين مواردها البشرية وإرساء سياسات تسويق حديثة والتفتح على شركائها التجاريين والتقنيين وإن ينحصر برنامج التأهيل في المؤسسة فقط بل

سيشمل المناخ الذي تعمل فيه وإرساء الهياكل اللازمة لتنفيذ الأهداف .

### **= مدة البرنامج وتكلفته**

سيتمت تأهيل الإقتصاد على مرحلتين :

1 - مرحلة أولى تمتد من سنة 1996 إلى سنة 2000 وتهدف لإعداد الصناعة التونسية لجابهة المنافسة الأجنبية

2 - المرحلة الثانية وتهدف لتدعيم ما تحقق وتعميمه على القطاع التجاري أما فيما يخص تكلفة البرنامج فإن التقديرات الأولية تتوقع مبلغ 2,5 مليار دينار للمرحلة الأولى مقسمة على جزئين :  
- تأهيل وتحديث المؤسسات وسير صد لهذه الغاية 60 ٪ من المبلغ المذكور أي قرابة المليار والنصف من الدنانير

- تأهيل وإعداد مناخ المحيط بالمؤسسة وسير صد له 40٪ من التكلفة الإجمالية

### **= البرنامج التطبيقي للتأهيل**

سيشمل المؤسسة ومحيطها وفيما يخص المؤسسة نجد 3 محاور :

1 - الاستثمارات في التجهيزات ووسائل الإنتاج وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى تعصيرها وتحسين مردوديتها وجودة منتوجاتها

2 - المساعدات التقنية والمساعدة على إنجاز الدراسات واقتناء البرامج المعلوماتية التي من شأنها زيادة القدرة التنافسية للمؤسسة .

3 - إعادة الهيكلة المالية إذ أن المؤسسات الصغرى والمتوسطة التونسية تعاني من نقص في الموارد الذاتية وإغراق في اللجوء إلى الإقتراض وهو ما يتطلب مراجعة وضعيتها المالية أما فيما يخص تأهيل الإقتصاد أو المحيط الذي تعمل فيه المؤسسة فسيتركز خاصة على الهياكل ذات القاعدة التكنولوجية وسيشمل البرنامج :

- مزيد تطوير ودعم المراكز التقنية والمخبر المركزي للمعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية  
- بحث مراكز تقنية للقطاعات التي تفتقد ذلك خاصة منها الصناعات الغذائية والكيميائية وقطاع الخشب والتغليف

- إعادة تهيئة المناطق الصناعية وبعث مناطق جديدة تتوفر فيها كل المرافق الضرورية كالغاز والكهرباء والطرق والماء والهاتف

- تهيئة المناطق الحرة

- تنشيط سوق المعلومة الإقتصادية وتطوير هياكل الإحصاء

- تطوير التكوين المهني وبعث مراكز جديدة للإختصاصات المفقودة

### **= المؤسسات المهنية بالبرنامج**

يهم البرنامج المؤسسات الصناعية للقطاع الخاص والتي لها قدرات كبرى على النمو وإمكانيات إحتحام الأسواق وذلك لكون إعتبار حجمها أو صنفها أو مكان إنتشارها ويعتمد البرنامج رغبة المؤسسة في الخضوع للتأهيل وفيما يخص المؤسسات التي تمر بصعوبات فإن برامج خاصة بها ستوقع من طرف الهيئة الوطنية للمؤسسات ويمكن لهذه المؤسسات المشاركة

في البرنامج بعد الخضوع لعملية التطهير

## **- هياكل نظام التأهيل**

وهي أربعة وفيما يلي كل التفاصيل حولها :

- 1 - هيئة الإشراف : ومهمتها النظر في مطالب المؤسسات وإسناد منح إعادة التأهيل وتتكون هذه الهيئة من 16 عضوا يمثلون الإدارة وإتحاد الأعراف وإتحاد الشغل ومؤسسات مالية .
- 2 - مكتب التأهيل : ومهمته تطبيق سياسة الحكومة لتأهيل الصناعة والقيام بالتنسيق بين مختلف الأطراف وسيقوم المكتب بالإشراف على تطبيق البرنامج وتوفير كل ظروف نجاحه وتمويله
- 3 - مؤسسات الإسناد : وهي المراكز التقنية ومعهد الموصفات ووكالة الصناعة بالإضافة لمؤسسات خاصة ومهمة كل هذه المؤسسات هي المساعدة على التسويق والإنتاج ومراقبة الجودة والتنظيم والتصرف في الموارد البشرية .
- 4 - النظام المالي : سيقوم بتوفير الاحتياجات التمويلية للمؤسسات وستقوم المؤسسات البنكية بذلك بالإضافة لشركات الإستثمار ذات رأس المال القار وشركات الإستثمار ذات رأس مال التنمية وستقوم هذه المؤسسات التمويلية بتدعيم قدرتها على إنجاز الدراسات وتقييم المشاريع المقدمة وستوجد في كل مؤسسة وحدة خاصة بالتأهيل حتى تتولى متابعة كل الملفات (18)

## **2 - تأهيل محيط المؤسسة**

إن برنامج تأهيل المؤسسات لن ينجح إلا إذا ما كان شاملا وتغطي المؤسسة ليلمس المجتمع بأسره فهو " مسؤولية جميع الأطراف إدارة ومؤسسات وعمالا وإطارات وكفاءات ومنظمات وطنية وقوى إجتماعية وطاقات فكرية وثقافية " (19)

## **- دور الدولة في عملية التأهيل**

- قد عملت الدولة على توفير الأرضية المناسبة كما عملت على تنمية الموارد البشرية لغاية إنجاح برنامج التأهيل ومن بين ما قامت به :
- توسيع البنية الأساسية وتعصيرها
  - إثراء الشبكة الإتصالية والتجهيزات والتحكم فيها
  - تكثيف التأطير الفني للباعثين الصناعيين
  - تكوين الكفاءات الوطنية القادرة على الإضطلاع بمهام عملية التأهيل
  - تنمية الموارد البشرية بإصلاح نظام التربية والتكوين (20)
  - توفير الأرضية الإقتصادية المناسبة
  - تهيئة وتوسيع المناطق الصناعية وبعث مناطق جديدة مجهزة بجميع المرافق الضرورية لنشاط المؤسسة

- إصلاحات في القطاع المالي والبنكي
- مواصلة المجهود في إصلاح الجهاز الإداري وإكسابه مزيد الفاعلية والنجاعة
- ملاءمة الإطار القانوني التونسي مع أحدث التشريعات الدولية
- إيلاء عناية متزايدة للإعلام الإقتصادي (21)



- مساعدة المؤسسات بتقديم منح تصل نسبتها إلى حدود (70٪ من كلفة عمليات التشخيص والدراسة

- إنشاء العديد من الهياكل والمؤسسات على المستوى الوطني أو بالتعاون مع دول أخرى لتوفير الدعم المباشر ماديا أو غير المباشر للمؤسسات منها : صندوق التعاون التونسي الأوروبي وصندوق النهوض والتحكم في التكنولوجيا وصندوق تنمية المنافسة وصندوق القطاع الخاص ...

### **== تأهيل المجتمع :**

إن كل مواطن في تونس اليوم معني برهان إنجاح عملية التأهيل ولو أنها ليست هدفا في حد ذاتها وإنما هي الوسيلة للوصول إلى مصاف الدول المتقدمة فإن " مسؤولية كسب الرهان جماعية وإن إخلال الفرد الواحد بدوره ينعكس سلبا على أداء المجموعة " (22) لذا يجب أن تتبع عملية التأهيل من شعور كل التونسيين بالغيرة على وطنهم وبحشهم الدؤوب عن مصلحته فمن ناحية الدولة فقد خطت خطوات وبرمجت ما يجب عليها توفيره والأحزاب والمنظمات أخذت الموضوع مأخذ الجد وقدرته بجميع أبعاده (23) فعلى صاحب المؤسسة اليوم المزيد من إحكام مؤسسته وتسييرها وتعمير تجهيزاتها وحسن توظيف الطاقات والكفاءات المتوفرة فيها واستغلال التشجيعات الممنوحة لها من أجل تحسين جودة المنتوجات التونسية والضغط على تكاليفها بما يمكن من دعم حضوراتها على منافسة المنتوجات الأجنبية (24) والمواطن كمستهلك عليه الاقبال على المنتوج التونسي والعمل عليه بذل مزيد من الجهد والكدر لتحسين إنتاجية العمل والابتعاد قدر الإمكان عن مظاهر التواكل .

### **\* عوامل إنجاز رهان التأهيل :**

إن تونس تمتلك عدة عناصر وعوامل لصالحها تساعد على تحقيق غايتها وهي كسب رهان التأهيل ومن بين هذه العوامل :

- تميزها باستقرار سياسي وسلم اجتماعي
- الإصلاحات التي تم إنجازها في إطار برنامج التهيكل الإقتصادي
- الأرضية الملاءمة والضرورية لنجاح برنامج التأهيل
- إمتلاك تونس لقاعدة صناعية تمكن من القيام بالعديد من عمليات المناولة خاصة بتوفير قدرات تقنية وفنية
- موقعها الجغرافي الذي يمكن من تقليص لكلفة النقل إلى أكبر الأسواق العالمية
- وجود طاقات بشرية هامة تضاهي ما هو موجود في البلدان المتقدمة (25)

\* هوامش :

1. 2 - 8 - 9 - 22 كلمة سيادة الرئيس في إختتام أشغال الدورة العادية الخامسة للجنة المركزية للتجمع 2 مارس 1996 .

3 - 10 - 16 - 21 مجلة الحياة الثقافية وزارة الثقافة بالجمهورية التونسية العدد 72 السنة 21 فيفري 1996 ص 119 .

- 1 - لسان العرب : ابن منظور - إعداد وتصنيف يوسف خياط - دار لسان العرب بيروت ص 124 - 125 ( مادة أمل )
- 5 - معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا دار مكتبة الحياة بيروت 1958 مجلد 1 ص 217 - 218 .
- 6 - المعجم العربي الأساسي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لاروس ص 117
- 7 - 23 - أنظر جريدة الصباح 1996/4/25 ص 4
- 11 - جريدة الصباح 1995/10/24 ( الملحق الإقتصادي )
- 12 - أنظر جريدة الصباح 1995/10/31 و 1995/11/30
- 13 - المخطط الثامن للتنمية ( 1992 - 1996 ) الجمهورية التونسية مجلد ( المحتوى الجملي ) ص 42 - 135 .
- 14 - جريدة الصحافة 1995/06/06 ( في رحاب الصحافة : مع السيد صلاح الدين بن مبارك وزير التجارة )
- 15 - جريدة الصحافة 1995/04/14 ص 5
- 17 - جريدة الصحافة 1995/05/25 ( الملحق الإقتصادي ص 5 )
- 18 - جريدة الصباح 1995/09/20 ( الملحق الإقتصادي )
- 19 - 20 - خطاب سيادة الرئيس في الذكرى الثامنة للتغيير 07 نوفمبر 1995
- 24 - من خطاب سيادة الرئيس إلقاء بمناسبة الإحتفال بعيد الشغل العالمي 1995/05/01
- 25 - جريدة الصباح 1995/11/30 ( الملحق الإقتصادي )



<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

## حول نشأة النحو العربي ومناهجه

بقلم : عبد المجيد يوسف

قرأنا في العدد الرابع والسبعين من مجلة الإتحاف مقالا للسيد محمد نبيل الفرادي اهتم بفرعين من المعرفة النحوية هما التأريخ والمنهج الخاص بمدرستين من المدارس النحوية العربية القديمة وسوف نناقش ما ورد في هذا المقال من وجهتي التأريخ والمنهج.

### \* التأريخ :

إن ما يستغرب في مقال السيد الفرادي هو الوثوقية المطلقة التي اتّسم بها وهو يتحدث عن تاريخ النحو وظروف نشأته . فما قدمه من معلومات ، وتلك الوثوقية التي ليست من سمة العمل العلمي يوحي بأن النحو العربي واضح النشأة موثقها . والواقع أنه ليس لدينا إلى حدّ اليوم نصوص يؤثّق بها ويُطمأنّ إليها تؤدّخ للنشأة الأولى ولتطور الفكر النحوي العربي . إن المؤلفات التي شاء أصحابها أن تكون تأريخا للنحو تتخذ مراجعها في كتب الطبقات أو الإخباريين أو كتب الأدب ، وهي كتب لا يمكن الإطمئنان إليها من الناحية العلمية الموضوعية لأن منهجها يعتمد المفاضلة بين النحاة ، ونحن نعلم ما تستتبع المفاضلة من ذاتية ونزعات مذهبية (1)

إن حديثنا عن مراجع التأريخ للنحو العربي يجرّنا إلى الحديث عن المراجع التي اعتمدها صاحب المقال في بحثه "العلمي الوثوقي" هذا ، فهي من ناحية تتصف بقلّة التنوّع ، وبعضها يتّسم بقلّة الاختصاص ، فمتى كانت المجالات المصوّرة ( ماغزين ) أو المعدة للترويج عن النفس والتثقيف الخفيف مراجع لعلم النحو ؟

### \* المنهج :

أ - المقدمة : مهد السيد الفرادي لمقالته - التي موضوعها النحو - تأريخا ومنهجاً - براء نخترلها في كون التطوّر اللغوي واتساع حقوله الدلالية حقيقة علمية ثابتة وأن اللغة - باعتبارها ظاهرة اجتماعية - خضعت لمبدأ التطور ، وأن اللغة حفظت التراث العربي بأصنافه . إن هذا التمهيد الذي توخاه مدخلا لا يلائم مادة المقال من حيث وقع التركيز على مبدأ التطور في حين أن النحو علم معياري غايته تثبيت النظام اللغوي على أساس ستاتيكي صحيح أن منطلق الدراسة النحوية كان في منطلقة شبيهها جداً بالدراسة اللسانية الوصفية المعاصرة لكن النتائج التي رسمها النحاة ووضعوها غاية لعلمهم هي القواعد الإعرابية التي على أساسها تعرف اليوم . ولعل أبرز تطور عرفه الفكر النحوي العربي الذي كان مزامنا لعصر التركيز ( القرن الرابع ) هو نزوع بعض النحاة إلى تسطيح هذا الفكر والميل به نحو الاكتفاء بالشكل المستند إلى الظاهر المحسوس والانصراف عن البنية العقلية المجردة لمفهوم الإعراب ، فخلط بين الإعراب وعلامات الإعراب ... كان ذلك أولاً مع أبي سعيد السيرافي ( 284 / 397 هـ ) وتركز مع النحاة المدرسين مثل ابن مالك ( 600 / 672 هـ ) وابن أجروم ( توفي 723 هـ )

2- وقد وقع صاحب المقال في إمكانيّتين من الخلط : إما أنه عنى دراسته اللسانية المعاصرة التي تتناول الظاهرة اللغوية تناولاً أنياً دون سعي إلى المعيارية وذلك في معرض حديثه عن النحو التقعيدي المعياري وإما أنه خلط بين الدرس اللغوي والدرس المعجمي حيث تتخلّى اللفظة عن دلالات لتكتسب دلالات جديدة طبقاً لحاجات التعبير لدى المجموعة اللغوية .

أما النوع الثاني من الخلط فيبدو لي في التناقض بين مبدأ التطور الذي وصفت به اللغة ، ووظيفة المحافظة على التراث . فإن كان عن مصطلح " لغة " الدراسة النحوية ، فإن قوله مبني على التناقض بين مبدئي الثبوت وما ينتج عنه من محافظة والتطور وما ينتج عنه من " نهضة ورقية " حسب عبارته ، وإن كان عنه الظاهرة اللغوية بمختلف مراتب دراستها فإن فنونا عدة تدخل تحت طائلة هذا المصطلح من الصوتيات إلى النقد الأدبي مما لا يتلاءم وغاية المقال ومجاليه ، هذا وقد ورد في غرضون المقال حديث مناقض لمبدأ التطور الذي بنى عليه فكرته كمثل قوله : « > عمل عدد من العلماء على ضبط قواعد لغوية عامة تجمع ما تفرّق من الآراء وتقنّن اللغة >>

3- أرجع صاحب المقال آراء المدرسة البصرية إلى ظهور ترجمة المنطق الأرسطي البصريين اعتدائهم بأحكام العقل وتهديمهم السبيل للحكمة الأجنبية وتأثرهم بالأفكار الدخيلة ، وريط صاحب المقال هذا التأثير بعلم الكلام وبالمناطق الأرسطي بالقرنين الأوّل والثاني للهجرة أي بدايات النحو العربي حيث أن الخليل بن أحمد توفي سنة 175 للهجرة وتوفي سيبويه بعده بخمس سنوات وهذا معناه أن هذين النحويين اللذين يعزى إليهما بداية اكتمال علم النحو وظهور مؤسّساته تأثرا بمنطق أرسطو ، وليس صاحب المقال هو أوّل من ذهب هذا المذهب ، وعمله هذا ليس في مرتبة البحث الأكاديمي الذي تخوض في مثل هذه المسائل ، لكننا نسوق على سبيل التذكير أن باحثين كثيرين قالوا بهذا منهم أحمد أمين (2) ويزعم دارسون آخرون تأثر النحو العربي لا بالمنطق اليوناني فحسب ولكن بالنحو اليوناني والنحو السفسكريتي في ما نقل عن الهندوس والسريان . وإن لا يسمح المجال هنا بمناقشة هذه الآراء باستفاضة فإننا نحيل على مرجع فعل ذلك ، هو كتاب د . إبراهيم السامرائي : النحو العربي في مواجهة العصر (3) ونضيف إلى ما ورد فيه حول هذه المسألة أنه لا يمكننا نفي الجهد الذاتي للنحاة الأوائل هذا الذي أثبتته صاحب المقال - نون وعي ربما - في ما أورد من نصوص ، فلئن كان الدافع إلى إنشاء النحو العربي براغماتياً ( فهم النص القرآني ) فإنه دافع محليّ بالأساس مطبوع بالخصوصيات النطقية والاستعمالية للغة العربية (4) كما أنه لا يمكننا القبول بشكلائية النحو العربي وقيامه على القياس فحسب فيما يخص مدرسة البصرة حين فترة الرواد ، ونحيل هنا على ما ذهب إليه د . عبيد الراجحي عند مناقشته هذه القضية (5) فقد نفى تأثر سيبويه بالمنطق الأرسطي في باب من أبواب النحو وهو التعريف واستدل على ذلك بغياب وضع التعريفات من الكتاب وهو من أركان المعالجة المنطقية للمسائل . فسبويه يعرض الباب ويكتفي بوصفه فلا نقرأ عنده حدودا للقضايا المعروضة كما هو الشأن عند المناطق . لكن الراجحي يرجع التعليل ، وهو كذلك من أركان منهج أرسطو إلى التأثير اليوناني فيورد نصوصاً من كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي ( توفي 337 هـ ) ومن الخصائص لابن جني ( توفي 392 هـ ) تُرجع علل النحو ( رفع الفاعل ونصب المفاعيل

وكسر المضاف إليه ) إلى أسباب مادية لا صلة لها بالميتافيزيقا ، كما أجرى موازنة بين أقسام الكلام عند أرسطو إلى اسم وفعل ورابطة وبين تقسيم النحاة العرب للكلام وينتهي إلى تطابق التقسيمين ( اسم ، فعل ، حرف ) لكننا نقرأ للمبرد ( 210 / 285 هـ ) في " المقتضب " ما يجعل تقسيم الكلام على هذا النحو أمراً مشتركاً بين جميع اللغات ، فيقول : « الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى لا يخلو منه الكلام عربياً أو أعجمياً من هذه الثلاثة » ( 6 ) وهذا معناه أن تقسيم العرب محلي بالأصل مصدره استقراء لغة العرب

4 - نسب السيد محمد نبيل الفرادي إلى مدرسة الكوفة اعتمادها المنهج الوصفي في حين نسب إلى البصريين اعتمادهم على القياس الشكلي وتقيدهم بصرامة القوالب المنطقية مما جعل الظواهر اللغوية الشاذة ، التي لا تستجيب لقواعدهم تُطرح وتُغفى وتهدر . إن كل ما قاله السيد الفرادي ، والمراجع الذي اعتمد عليه في ذلك لا يمكن أن يلغي ما تقوله المصادر البصرية من اعتماد على الوصف والاستقراء اللغوي أي أن منطلق دراستهم أنني وصفي ، ولم يتخلوا عن هذا المنهج حتى المتأخرون منهم ، فقد عرّف ابن جني النحو على أنه « انتحاء سمعت كلام العرب في تصرفه » ( 7 ) ونحيل كذلك على ما أورده ماجد السامرائي في كتابه المذكور أنفاً ( 8 ) من أن العمل النحوي كان في منطلقه جميعاً لمختلف الاستعمالات اللهجية ، وقد ذكر جهود عمرو بن العلاء وأبي الأسود الدؤالي في ضبط النص القرآني - كما نقرأ في الكتاب لسبويه « فأجره كما أجره وضع كل شيء موضعه » ( 9 ) - فهذا وغيره يدل على أن الدراسة الوصفية الآتية لم تكن حكراً على مدرسة الكوفة وأن الاستقراء كان أساس الدرس النحوي العربي ، وأن هذا النحو ، نشأ ، بمختلف اتجاهاته ودراسه من حاجة حضارية ذاتية .

#### \* الإحالات :

- 1 - نذكر على سبيل المثال كتاب الدكتور عبد الحميد محمد ورشيد عبد الرحمن وطارق عبد عون : تاريخ العربية . دار الكتب للطباعة والنشر - بغداد - بدون تاريخ حيث اعتمد المؤلفون في فصل " أوايه النحو " على مؤلفات منها : - مراتب التحوين لأبي الطيب اللغوي ( ق 4 هـ ) - طبقات التحوين والتفويين لأبي بكر الزبيدي ( ق 4 هـ ) - أخبار التحوين البصريين لأبي سعيد السيرافي ( ق 4 هـ )
- 2 - غنى الإسلام ج 2 ص 249
- 3 - د . إبراهيم السامرائي : النحو العربي في مواجهة العصر . دار الجيل ، بيروت ط 1 ، 1995 .
- 4 - من ذلك ما أورده ابن النديم في الفهرست عن أبي الأسود الدؤالي حين وضع علامات الإعراب من أمر كاتبه بملاحظة حركة الشفتين عند النطق .
- 5 - د . عبيد الراجي : النحو العربي والدرس الحديث . بحث في المنهج دار النهضة العربية . بيروت 1979 صص 72 ، 73 .
- 6 - المبرد ( أبو العباس محمد بن يزيد ) : المقتضب : تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ج 1 ص 36 وما بعدها .
- 7 - ابن جني : أبو الفتح عثمان : الخصائص : تحقيق محمد علي النجار ج 1 مطبعة دار الكتب . القاهرة 1952
- 8 - ص 29 وما بعدها .
- 9 - الضمير في كلام سبويه يعود على الحكم الاعرابي .

# الإلتزام والإبداع الفني

في ديوان « قرط أمي » للميداني بن صالح

« دراسة الأدوات الفنية »

الأستاذة : كوثر اليحياوي

• تمهيد :

• ضبط المدونة

• المشكلة :

• ضبط أهداف البحث : دراسة الإبداع الفني

دون المضامين

• تحديد صدى حركة الشعر الحر في

الديوان

ARCHIVE

1. المستوى الآيقوني

2. مستوى الصورة الشعرية

3. التوظيف الرمزي والأسطوري

• خاتمة البحث

**تمهيد :** عرف الشعر التونسي المعاصر بداية من الأربعينيات تجددًا كبيرًا في مضامينه وأشكاله خاصة مع تبلور القضية الوطنية [ نشاط الأحزاب السياسية والنقابية المقاومة للمستعمر + وعي الشعب ] ومع بروز مجلات أدبية رائدة [ مجلة العالم الأدبي + مجلة المباحث + مجلة الفكر ] تبلور معها المفهوم الجديد للأدب الذي لم يعد بمعزل عن قضايا مجتمعه وعن مشكلات الإنسان المعاصر فصار الأدب والشعر منه مرادفًا للإلتزام في أوسع معانيه [ الذاتي والاجتماعي والعربي والإنساني ] والتبس بمفاهيم جديدة تآصلت مع حركة الشعر الحر وأمتد تأثيرها وكرس لها شعره أحد شعراء تونس من الذين مكثوا فترة نضج الشعر التونسي في منتصف القرن خير تمثيل وهو الميداني بن صالح الذي رسم في مجموعته الشعرية « قرط أمي » الوظيفية الجديدة

والمأمولة للشعر والشاعر : في قصائده : « صوت الحياة » وقصيدة : « شعري ودعاة الغز »  
يؤسس نغما وإثباتا وبحضا وتاصيلًا مفهوم الشعر عنده الذي هو روح الحياة وجوهرها الصاحب  
ملؤه حركة شعبه ، حركة جماعته : ضعفا وانكسارا أو ثورة وانتصارا :

شعري : لهات الكاشرين على الرُوب

شعري : أهاريج الشعوب ( 1 )

فكان هذا المفهوم ثورة على اتجاهات سابقة في الشعر من كلاسيكية متحجرة أو غنائية حاملة  
وتعبيرا صادقا عن مرحلة الواقعية الاشتراكية التي التزم الشاعر بمبادئها في شعره معتقًا به  
الى أفق الإلتزام الواقعي والأدبي في موضوعاته وطرائق تشكيله :

الشعر جدّد يا نيام

وتعمقت أبعاده

الشعر أصبح ثورة بناءة أنشودة شعبية

وسط المصانع والمزارع والتزام

لم يبق في قبر « المهلهل » و « السمؤل »

و « الحطينة » حنة وسط الظلم

وعليه أغلال الجمود من المقاييس القديمة

والبهارج ، والتشابه القريبة

من سخافات الكلام

وغدا نشيدا أخضر الأنغام منطلقا سطيح

نجما ينير الدرب للرواد للشعب

العظيم ، ( 2 )

ولئن كانت مضامين الإلتزام الذاتي والاجتماعي والسياسي واضحة سافرة في شعر الرّجل ، في  
الواقع ، وفي تاريخ الشعب التونسي في مرحلة استعمارهم وكفاحه وتحرّره فإنّ جانب الإبداع  
الفنّي خفيّ كامن لا تهتدي إليه إلاّ الدراسة المتأنية لحركة الشعر من الداخل لذا فإنّ اهتمامنا  
بشعر الميداني بن صالح سينصبّ على جانب الإبداع الفنّي وتقنيات الكتابة لديه في منوّنة شعرية  
هامة في ديوانه « قرط أمّي » وخاصة على جانب منها لأنّه عصارة التّزام الشاعر الواقعي  
والأدبي وتعني به القصائد التي تجاوز فيها الشاعر شواغل الذات إلى عموم شعبه ووطنه

[ رؤى + أشواق + بطولة شعب ]

والممتدّة على الجزء الثاني من مجموعته لتتبيّن قدرة الشاعر على توليف شعره خدمة لقضايا  
وطنه وشعبه ومحافظة في ذات الآن عليه خطابا أدبيا متميّزا .

\* فهاهي الأدوات الفنية التي وظفها الشاعر للتعبير عن قضايا الإلتزام ؟

\* إلى أيّ حدّ استفاد الشاعر من منجزات حركة الشعر الحرّ وماهي أصداها في شعره ؟

\* إلى أيّ مدى تعضد قضايا الإلتزام الشعر ولا تخل بشعريته ؟

1 - الجانب الإيقاعي :

تتدرج قصائد الديوان ضمن تجربة الشعر الحرّ شكلا وضمن شعر التفعيلة على وجه الخصوص إذ تتشكل القصائد عنده من أسطر شعريّة متفاوتة ولكنها تخضع لنظام التفعيلة مع حرية كبيرة في توزيع تفعيلات البحور الشعرية المعتمدة ومع تنوع وثراء كبير في القوافي كما أن الشاعر لا يلتزم في قصائده توزيعا مقطعيّا معيّنًا إنّما تتشكل القصائد مقاطع متفاوتة وبذلك تستمدّ كلّ قصيدة بنيتها من ذاتها وبون تنظيم هيكل بنيوي مسبق ومسلّط عليها أمّا العلاقة بين المقاطع فإنّها في جلّ قصائده مبنية على تناوب دوريّ من الواقع إلى الحلم ، من اليأس إلى الأمل ، من الكفاح إلى الانتصار ، من الضعف والانكسار إلى القوة والانتصار وهي ثنائيات متقابلة تحت البعد الدرامي للقصائد وتتبعها بطابع الصراع والحركة والحياة :

أنا إن كنت جائعا وفقيرا ،

وقضيت الشباب عبدا أسيرا

ودمي للغزاة كان عصيرا

تنتشي منه كمشة الغاصبين

قد تمردت في وجوه الغزاة

صرصرًا عاصفا بوجه الطفاة

وتبسمت فرحة للحياة

لرفاعي ، للصبيّة الحالمين (3)

فترى هذا المقطع الشعري الواحد قد اختزل ماضي الشاعر الفرد وضعفه وحاضره وتمرّده وقوته والمستقبل ووسائل تحوله فكان إيقاعه من جنس إيقاع الحياة الموسومة بالتحول والحركة والتبدّل أبدا .

فالقصيد إذن تبني إيقاعها من الداخل : من حركة القصيدة ، من لغتها من روحها الخاصة بها فتنهض القصيدة عنده معتمدة على مكوناتها الدأخلية اللغوية والأسلوبية والإيقاعية ومن بين الظواهر الإيقاعية التي تسم قصائد الميداني ظاهرة التكرار والترديد اللازمة معيّنة تتكرر في بداية كل مقطع من مقاطع القصيدة فتصبح تلك اللازمة بؤرة القصيدة الإيقاعية ففي قصيدة شعري ودعاة الفن « تتكون من 3 مقاطع شعريّة ينفّث كل مقطع منها بكلمة شعري التي تصبح لازمة تتكرر في بداية كل مقطع وداخل المقطع الواحد ويتولد عنها في كل مقطع دفق دلالي : فشعره في المقطع الأوّل قرين الصراع والمعاناة :

شعري : لهاثُ الكادحين على الدروب (4)

وشعره في المقطع الثاني قرين الانتصار وتنويع للنضال :

شعري حداءً للمسيرات الكبيرة (5)

وشعره أخيرا في المقطع الثالث = هو الحياة مجتمعة :



## شعري نداء للحياة (6)

كما أن ظاهرة التكرار مرتبطة إيقاعيا بانتقال لبوري من الواقعي إلى الأسطوري أي مما ينتمي إلى العالم الموضوعي الواقعي ومما يحيل على الخيالي / المقدس / المحجب / الخارق للعادة والأسطوري - الإيقاع الأسطوري - ففي القصيدة التي أهداها الشاعر إلى أحد رموز الثورة الوطنية : فرحات حشاد احتكم التكرار مفاصل القصيدة من خلال تكرار اللازمة : « مازال صوتك » ولكن هذا التكرار فيه انتقال من ومضات واقعية :

مازال صوتك ، يا صديق الشعب ، بين الكادحين

ما زال صوتك يا صديق الشعب

يا بطل الطليعة

لحن الجماهير الوديعة

## أنشودة الأحرار بين العالمين (7)

الى ومضات أسطورية حينما يتحول هذا الصوت المكرر إلى صوت مقدس له فعل السحر يخترق العادة والمألوف حينما يتحول إلى :

أنشودة خضراء تهتف للحياة وللربيع

وتبث في عين ، الرضيع ،

روح المحبة والتحرر والسلام » (8)

فإذا هو كما عنوان القصيدة : «صوت خالد» بما في الخلود من مغان إنسانية . فإيقاع شعره يوحي في ظاهر القصائد أنه يستخدم إيقاع الشعر القديم وقوانين الشعر القديم من بحور وقافية خارجية ومن ظواهر موسيقية غنائية داخلية [ التكرار / الجناس / المحسنات اليدوية ] ولكنه في الحقيقة ينحت إيقاعه الخاص به المرتبط أساسا بدرامية اللغة المستعملة وبالتكرار وبالانتقال اللبوري الموقع من الذاتي إلى الموضوعي ، من الواقعي إلى الخيالي والأسطوري والمحجب . وبهذا يستجيب مفهوم الإيقاع في قصائد الميداني إلى مفهوم الشكل والإيقاع كما حدده أنونيس في كتابه زمن الشعر :

« لا تتبع الموسيقى في الشعر الجديد من تنافم بين أجزاء خارجية وأقيسة شكلية بل تتبع من تنافم داخلي حركي هو أكثر من أن يكون مجرد قياس وراء التنافم الشكلي الحسابي ، تنافم حركي داخلي هو سر الموسيقى في الشعر » \*

فقصائده كالقصيدة الحديثة لم تسكن في شكل وهي جاهدة أبدا في الهرب من كل أنواع الإنحباس اس في أوزان وإيقاعات محددة بل هي مطبوعة بروح الشاعر وروح المرحلة التي عاشها الطامحة بالحركة والتبدل .

## 2 = مستوى الصورة الشعرية :

إنَّ شعر الميداني بن صالح ككل الشعر العربي المعاصر إنَّما مداره الالتزام الذاتي والإجتماعي والسياسي بقيم مجموعة كلها لذلك فقد انفتح شعره على ما يحدث في واقعه هذا الواقع الذي استدعاه الشاعر في شكل مدركات واقعية معلومة منكشفة [ تونس ، الشعب ، العمال ، النضال ، المستعمر ، الكفاح ، رموز الثورة : حشاد + بورقية + حادجة الزلاج ، عيد العمال ] ولكن هذا الواقع لم يحضر كما في الشعر القديم ليوصف ويحاكي إنَّما الشاعر بناه بناء داخليا لتكون وظيفة الشعر عنده الكشف عما تستر وتحجب في ذلك الواقع من أبعاد إنسانية كونية شاملة =

فالشاعر حينما التقط في قصيدته "انتصار" ما يحدث في واقعه من شقاء وجوع وتعب وهي أوضاع شعبه في مرحلة استعمار :

كنت بالأمس والجماهير نكح

شعري ، نجوع ، نفنى ونمنح

ما حصدناه للدَّخيل فيفرح

برغيفي وكسرة الجائعين (9)

ألتقط هذا الواقع ليفرس على أديمه ما سيظل يحدث دائما فإذا هو ويني شعبه رموز للنضال الإنساني وإذا الشعر عنده مداره الخلاص البشري الشامل : حينما يستدرك هنا الواقع الليبي الخلاص الشامل بفضل بقضة الفرد وتمرد الجماعة :

غير أني ، والجوع أيقظ حسني

قد تسالط لحق وجودي ونفسي

وتمردت عن قيودي وأمسي

وسياط الغزاة ، والمجرمين

فتبارت جموعنا يوم ثرنا

للعطا بالدماء حتَّى انتصرتنا

وطردنا الدَّخيل ثمَّ نشرنا

راية الحبِّ تشمل العالمين (10)

فإذا الصورة عنده بكتفها جو شعوري انفعالي يتوحد بانفعالات وأتواق الشاعر فتتجاوز الوصف إلى الكشف والتجسيد الحسي للواقع إلى التجريد فيتيب ذلك أنماطا من الصور تحكم الصورة الشعرية عنده وهي الصورة الرمزية والصورة الدرامية .

أما الصورة الدرامية وهي الغالبة على قصائد الشاعر التي التزم فيها بقضايا مجتمعه فإنَّها صور تحفل بالحركة والتوتر والنمو حيث تتدافع الأحداث وتنمو المواقف ويرتكز اهتمام منشئها على الفعل والحركة وتستخدم كل العناصر اللغوية من مفردات وتراكيب وإيقاعات لعضد الصورة

الدرامية : وخير ما يمثل نوع هذه الصورة قصيدة : « بطولة شعب » :

السَّاح ، والقنال والرَّصيف

ونسمة الخريف

تحية الرفاق بالجنوب

تقيض بالعبير ، والسلام والطيب

كرعشة القلوب

ويسمة الزَّهراء ، في الغروب

تعانق الشَّمال

والعشب ، والمروج والقنال ،

والشجر ، والشجر

وبذرة الحياة في الصَّغار

وفتية تطوعوا أحرار

لتسلم الحدود

فقاوموا القرصان ، واللَّفيف ، والجنود

وخلدوا معركة الجلا

وقصة الفدا (11) <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

فالصورة مبنية من مدركات واقعية تتصارع [ أبطال ، نضال ، حادثة الجلاز ، حادثة الجلاء  
عن بنزرت ... ] ومدركات طبيعية وقيم إنسانية ، مقاومة خلود ، فداء .

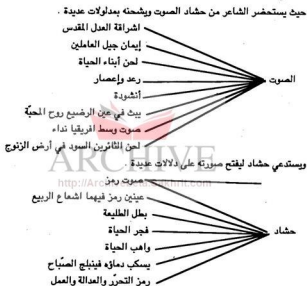
فإذا الصورة كلية لبنات متماسكة داخل الصورة العضوية التي تنمو في ظل البناء العام  
للقصيدة متفاعلة مع وحدة الجو النفسي للشاعر الذي صاغها محطما الحواجز بين الإنسان  
والطبيعة وبين الماديات والمعنويات بخياله المنتج الخلاق وهو الخيال الإنتاجي عند ديكاوت أو  
الخيال الفاعل الخلاق عند كوايردج المنافي للخيال الوهمي أو السلبلي أو الثانوي بمصطلح كليهما  
الذي يكتفي بنقل المدركات الحاضرة أمام البصر من الواقع إلى الشعر . هذا الخيال المبدع  
المنتج الذي يتراعى عند تحليل فنيات الصورة الشعرية عند الميداني بن صالح هو الذي سيبدع  
رموزه وأساطيره الخاصة به .

### 3 = الرمزي والأسطوري في قصائد الالتزام :

أ = الرمز الشعري وطبيعته استخدامه :

إن التجربة الشعرية بما لها من خصوصية في كل عمل شعري هي التي تستدعي الرمز  
القديم من ناحية لكي تجد فيه التفريغ الكلي لما يحمل من عاطفة أو فكرة وهي كذلك تنتج رموزاً

خاصةً بها مرتبطة كل الارتباط بالتجربة الشعرية التي يحياها الشاعر والشاعر الميداني بن صالح إلى المنزع الثاني أميل إذ هو منشئ رموزه الجديدة المرتبطة بالجو الشعوري وبالمرحلة التي تحياها ففي أغلب قصائده تحولات الكلمات الشعرية : بؤرة ومنبت القصيدة إلى رموز : فمارس الأخضر = في قصيدة : «مارس الأخضر» تجاوز أن يكون حيناً زمانياً عادياً إلى أن يكون رمزاً لمناسبة هامة وهي استقلال الوطن مارس 1956 وإلى أن يصبح رمزاً لدلالات إنسانية خالدة عديدة . كذلك كلمة « الشعر » في قصيدة : شعري وبعاء الفن ، كذلك الشعب ويورقية في قصائده : «بطولة شعب» ، «تحية الجماهير» وكذلك فرحات حشاد في قصيدة : «الصوت الخالد» .



فيتحول حشاد عنده إلى رمز تموزي أسطوري له فعل الآلهة وخوارقها يسكب دماؤه الحمراء فينبج الصباح ، عينيه تمنع الربيع رغم الفزاة والموت وصوته له فعل السحر والوحي فإذا حشاد رمز إنساني كوني لكل بطولة أو تضحية أو فداء يرد القصيدة عنده إلى أصقاع أسطورية خالدة

## ب = الأسطورة والرمز الأسطوري في شعر الميداني بن صالح :

لا تحضر الأسطورة حضورا سافرا معلنا عنها في أغلب قصائده المدونة إذ لا نجد إشارات واضحة إلى أساطير وظفها الشاعر إلا في مواطن قليلة [ في قصيدته التي أبن فيها الشاعر

العراقي بدر شاكر السياب هناك إشارات أسطورية : أسطورة عشار وتموز [ بل إن الأسطورة عنده تحضر حضوراً خفياً منسجماً في تلاوين القصيدة يخلق لشعره قاعاً أسطورياً خاصاً بها فالأسطورة في القصائد أصداً بعيدة تردّد كالرجع البعيد فلا تكاد نجد فرقاً بين الشعر والأسطورة إلا بالنفاذ إلى عمق القصائد وأغوارها ، فالكلام الشعري عنده هو الذي يستدعي الأسطورة بعد أن يهيا الأديم الذي ستغرس عليه فلا تحضر حلّة شكلية ولا يسقطها اسقاطاً على نسج بل هو يتشكل ثم ينفق عليها لأنه اجتاحتها فتحضر لتعصده وهو أرقى مظهر فني يمكن أن يبلغه توظيف الأسطوري في الشعر ففي قصيدة صوت الحياة يجرد الشاعر من نفسه رمزاً للصمود والنضال والتحدى فاتحاً مجرى الصورة على أسطورة سيزيف التي لا تحضر حضوراً سافراً بل تلتبس حضورها من خلال توحيد الشاعر بسيزيف رمزاً أسطورياً لا ينكح يُجاهد حاملاً صخرته :

وقطعت آلاف الدروب أصارع الأيام

وحدي

صامداً أبداً شعاع

لا لن أخاف من العناكب والأفاعي

والسباع

لا أنثني عن صخرتي الصماء أحملها

شعاع



أنا والجماهير الحبيبة أصدقائي الكادحون (12)

وفي جلّ قصائده يترأى الشاعر وجماهيره الكادحة رموزاً للجهاد الإنساني الذي طالما فسرتة الأسطورة :

أسطورة تموز ، أسطورة المسيح وصلبه ، قصة محمد :

أنا إن كنت جائعاً فقيراً

وقضيت الشباب عبداً أسيراً

ودمي للغزاة كان عصيراً

تنتشي منه كمشة الفاصيين

قد تمردت في وجوه الغزاة

صرصراً عاصفاً بوجه الطغاة

وتبسمت فرحة للحياة

لرفاقي ، للصبية الحالمين (13)

هكذا أراد الشاعر أن ينحت من نفسه ومن شعبه أسطورة للتضحية والبطولة والقداء منزلاً تجرية شعبه ضمن تجارب سابقة وخالدة فبالأسطوري اتخذ الشاعر المعاصر قدسية لمعاناته وجهاده .

## خاتمة :

لقد استطاع الشاعر الميداني بن صالح أن يجعل شعره وفيّاً لطبيعة المرحلة التي عاشها فعبر عنها والتزم بقضاياها مع محافظته في الآن نفسه على خصائصه كخطاب فني استفاد من حلقات شعرية سابقة ومن منجزات تجارب شعرية اختمرت في النصف الثاني من ق 20 وتعني بها حركة الشعر الحر ومنجزاتها أساساً التي يبدو أن الشاعر قد تأثر بها فتحول الشعر عنده رؤياً مدارها الكشف والتأسيس تنهض على رفض الجاهز في المواقف والرؤى فكان ممثلاً لجيل كامل من الشعراء التونسيين من أهمهم الشاعر منور الصمداح الذي لخص في مقدمة ديوانه «ضراع» الوظيفة الجديدة للشعر والشاعر :

« لم يعد الشعر ضرباً من ضروب الترف والمتعة الفنية ، ولم يعد الشاعر العربي ذلك الحالم الخيالي الذي يعيش في العالم اللامنتظر ، لقد وجد نفسه واكتشف وجوده وأحس بما يدور حوله من أحداث بشوية وقومية وعالية باعتبارها الركن الأساسي الذي يعتمد عليه لخدمة قضايا الإنسان العامة . » \*

## \* المصادر :

ديوان « قرط أمي » الميداني بن صالح دار التونسية للنشر

- 1 - قصيدة « صوت الحياة » ص 140
- 2 - قصيدة « شعري وبغاة الفن » ص 130
- 3 - قصيدة « انتصار » ص 125
- 4 و 5 و 6 « شعري وبغاة الفن » ص 130 و 131
- 7 و 8 - « الصوت الخالد » ص 182
- 9 و 10 - قصيدة « انتصار » ص 125
- 11 - قصيدة « بطولة شعب » ص 197
- 12 - قصيدة « صوت الحياة » ص 197
- 13 - قصيدة « انتصار » ص 125

## \* المراجع :

- \* « زمن الشعر » أحمد سعيد أدونيس
- \* « الأعمال الشعرية الكاملة لمنور صمداح » عبد الرحيم صمداح
- \* « الشعر التونسي المعاصر 1870 - 1970 » محمد صالح الجابري
- \* « الشعر والشعرية » محمد لطفي اليوسفي
- \* « الأسطورة في شعر السياب » علي عبد الرضا
- \* « الشعر العربي المعاصر قضايا ، وتواجره الفنية والمعنوية » عز الدين إسماعيل .

# قراءة عابرة في ديوان « هيام » لعبد الوهاب بوزقرو

بقلم : رقية بشير

هو شاعر كهل يكتب لنفسه منذ عشرات السنين من المبدعين الموهوبين الأفذاذ الذين تفخر بهم مدينة المستير التي أنجبت الهادي نعمان وعبد الله الزناد وحسين سقطة وغيرهم . ترقى كتاباته إلى الستينات ، فقد مر ، إذن ، بمختلف المدارس الشعرية ، وتأثر بها كالمدرسة الكلاسيكية ومدرسة الشعر الحر ومدرسة قصيدة النثر التي لها علاقة بالشعر الغربي . تبدو الرحلة معه ممتعة شيقة لأنه يأخذك من باب إلى باب ومن شكل إلى آخر ، فلا تشعر بالرتابة والملل وتشاطره لحظاته المعبرة عن صدق شعوره في نغم حزين في الغالب ناتج عن الشعور بالفشل والحزن والضيق ، وبأسلوب مؤثر ساهر دون أن تعرف السبب ، قد يكون الموضوع الذي لا يخلو من ظرف وطرافة غزلا أو هجاء صار نادرا في عصرنا هذا ، وقد يكون اللفظ ، ولا أعتقد أن هذا التلون في الأشكال غير مقصود بل يبدو لي أن الشاعر أراد أن يظهر قدرته على الكتابة في كل هذه الأنواع من الكتابات حتى قصيدة النثر التيمة الفاضلة التي تعتمد على الصورة وتشذ عن سائر شعره .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

اختار الشاعر لديوانه عنوان « هيام » وهو عنوان قصيدة وجدانية رومانسية ، وإنه لعمرى لعميق الدلالة على محتواه . فالحاتم كما جاء ذلك في لسان العرب هو الذهاب على وجه عشقا واستهيم فؤاده فهو مستهيم الفؤاد أي مذهبه . والهيمن هو العاشق والشاعر إذا خلا في الصحراء . وكلمة « الهيام » كلمة « الشوق » واسعة جداً لأنها لا تقتصر على الغزل وإنما تشمل كل ما يأخذ بمجامع القلب ويستولي على القلب .

وقد جاءت الصورة التي على الغلاف وهي بريشة شاعرنا الفنان معبرة جداً فهي رسم لشخص هائم بالشمس ترسل صفائير تيرها العسجدية على الثرى وسط الفيافي والوديان .

أما الإهداء فقد كان « لأم البنين » لزوجته رمز وفاء وإخلاص . والمتصفح لباب « الحب » يرى أن الشاعر عاش الحب طولا وعرضا ، وطوحت به الليالي والبين ، وأحب أكثر من واحدة لكنه لم يصادف قلبا يركن إليه ، فلما وجد نصفه الآخر قارب النجاة حط رحاله لينفض عنه غبار السفر . واستقر ليهيم من جديد برفيقة الدرب التي ملأت فراغه الرهيب ، فكانت مجموعة من الأشعار الشيقة المغعمة بالإطمئنان ، ولكن ، لما لقي السكنية هام على وجهه حائرا متسائلا ضائعا في شعاب الوجود . وقد يكون هذا الفراغ اجتماعي فكانت مجموعة من الأشعار العذبة

ذات الصيغة التأملية .

ينقسم الديوان إلى 10 أبواب : باب الحب - باب لام البنين - باب الوجوديات - باب الإجتماعيات - باب الأماجي - باب العائيات - باب خاص بالأطفال - باب للإخوانيات - باب التقاريط - باب التسابيح ...

ومن خلال هذا التقسيم نستنتج أن الشاعر متأثر بالشعر التقليدي لوجود فنون أصبحت غير مطروحة في وقتنا هذا كالهجاء الذي يمكن تفسيره برقة إحساسه ، والتقاريط وهو فن يكاد يندثر حالياً وله علاقة بالإخوانيات ...

يشتمل باب الوجد على قصيدة مطولة في مسقط رأسه المنستير ( المنستير أرض النور - الخفيف ، 61 بيتا ) . وقصة شوق مطولة أيضاً تستحق دراسة مفردة وهي مسبوكة سبكا حسنا وتدل على اطلاعه على الفن القصصي وممارسته له . والقصص أحد خصائص الأسلوب القرآني وفي هذا الديوان يحتل القرآن المنزلة التي يستحقها ، فنعرف من وراء ذلك عبد الوهاب بوزقرو الإنسان . كما يشتمل الباب على 15 قصيدة غزلية متفاوتة من حيث الطول في أكثر من امرأة ، فالشاعر لم يواتيه الحظ ، فنراه يحلم بما لا يطاق ويقدس الحب رغم فشله الذريع وبعض القصائد لا تخلو من ظرف أدبي :

فَقَبِّلْتُ خَالَدَ إِذْ لَمْ أَقْبَلْ يَدَيْكَ فَتَاتِي كَمَا يُسْتَلَابُ  
وَإِنْ كُنْتُ قَبِّلْتُ الْإِمِينُكَ فَهِيَ الَّتِي أَلْبَسَتْهُ الثِّيَابُ ( المتقارب )

كَأَنَّ قَصَائِدِي بِسَمْعِكَ « شُنُونَا » ( مشطور الطويل )  
تُحِبُّنِ قَبْلًا ، أَلَا فَاحْبِيبِي قَطِيطًا صَغِيرًا بِبَيْتِكَ يَلْهُو  
لَمَنْ حَبْلُ الْعَبْقَرِيِّ انْبَعَثَ وَبِالْحُبِّ وَالشُّوقِ قَدْ جُنْتُ مِنْهُ  
فَلَا تَعْرِضِي عَنْ حَبِيبٍ تَخْلِي لِحَبْلِكَ عَنْ كُلِّ مَا لَهُ كُنْه

فهذا الغزل كما ترى غزل عفيف ، رقيق أنيق ، ولكنه لا يعني البتة أن الشاعر فقد كرامته . لا إنها فوق الحب لأنه ينتفض أحيانا ويثر ضد قلبه :

ترفع اترفع أيها القلب قبلما تدور الرحي بالنائبات فتقص  
إذا ما أراد الله إبعاد عبده بلاء يحب الغانيات فيوسف

لكن ، هل يتوب القلب وإن كان الجرح فاغرا ؟ لا ! إنه الحب يقع في القلب دون إرادة وولا استئذان أو جواز عبور ، فلا نجني غير التعب والنصب ، وهذا ما عبر عنه في قصيد ( قصيد غير مؤرخ ) ويبدو أنه كتب في فترة متأخرة لما فيه من تغن وترصيع يدلان على نضج التجربة الشعرية .

بعد هذه القصائد المشبوبة المضطربة التي يحملنا فيها على التحليق معه في أجواء جنونية ، نجد أنفسنا في الباب الغزلي الخاص بزوجته أمام حب هادئ أدخل على نفسه الغبطة والسكينة



وغمره بالسعادة وهو سرّ التحول بعد ذلك إلى مجموعة من القصائد التأملية .  
في هذه القصائد يبدو الشاعر تائها ضيّع ذاته في دنيا أشبه ما تكون بالرواية انطفأت جذوة  
الحب لديه كما انطفأ صوت الثورة :

هكذا يا صاحبي الدنيا زوايه

تنزل الأسجاف منها في النهايه

وفي قصيد « القطار » يعالج مشكلة الزمن الأكل ، فقد ركب قطارا حقيقيا ولكن هناك  
قطار آخر رمزي : الناس يقتلون أنفسهم ويظنون أنهم يقتلون الوقت ، إنهم جوقه من العميان  
لأنهم يأملون قتل الزمن في الإسماء والإصباح :

قد نسينا أننا أضحية في كفّ غادر

والقطار أيد الدهر يسافر

في طريق اللّنهايه

في شعاب اللّيديايه

راجعا من حيث يمضي في نواتر

فلنلق يا صاح ! ... من هذا السّبات ! ...

يا صديقي ! ... فلنلق .

أما في قصيد « دروب » فهو يبدو تائها مرغما في بقائه في شروده وقيوده ويشعرنا بالملل  
في قصيدة « المجرور » التي يصف :

أه يا طول النّهار

والليل سرمدني لا يقاس بالأمطار

ودربك القصي لا يتفك يجري

تاركك ..

وأفكك المقهوب لا محاله

هالكك .. هالكك .. هالكك ...

و « أبولو 11 » مناجاة لأبولو الطائر الذي يرى فيه انعاقه ، النظرة ليست رومنسية . لم  
يعد البدر هنا مصدر إلهام ، وليس كما هو عند بعض الناس ملجأ لحياة أفضل لأن الأرض ملأت  
بالحروب القانية الطاحنة ، النظرة هنا نظرة علمية بحتة مجردة كذلك من الوثنية فهو إله وليس  
ملاكا ، وإنما هو جمال زاه بنور الشمس . ثم يتحول الشاعر بعد ذلك إلى وجهة نظر دينية : هذا  
القمر الذي يظهر بالليل ينبغي أن يفهم منه الناس أن الله جعل الليل لباسا للناس ، وأبولو فكرة  
الإنسان المندثر الفاني والبقاء لله وحده . هنا نرى تناقضا مع مآرب العلماء من غزو الفضاء :  
تعمير بعض الكواكب بعد غزوها إن أمكن ، والشاعر يرى أن الأرض مهاد :

— قد حبا البرايا بنعيم في الوجود

أسكن الإنسان في الأرض التي فيها يعود

## لا لَانَّ الارض سخف ... بل لَانَّ العالمين افضل الاشيا لديهم ارضهم اصل الوجود .

هكذا تبدو الحياة في هذا القسم الوجودي عبثا ، والإنسان فيها مجبور يسحقه الزمن . وتحمل القصائد الوجودية معظم الديوان وهي قصائد حرة طويلة ، لأن القالب العمودي يقيد الفكرة ، ولكنها عذبة منمعة شيقة . واختيار الشكل مقصود ليتسع المجال للشاعر للتعبير عن قضايا لا يتسع لها الشعر العمودي في العادة . والعكس بالنسبة للقضايا الاجتماعية أو الوطنية فهي قليلة . فهناك قصيدان اجتماعيان « في سكون الليل » و « تحرر » تناول في الأول قضية الفقر والعدم التي يشترك فيها الشاعر في الغالب مع البائسين وتناول في الثاني قضية الإستهتار بالقيم والمثل وكسر القيود في عالم مسيح بقوانين الأرض والسماء .

ومن القضايا الوطنية التي تشغل بال العربي وكل مثقف وطني فما القول بالشاعر ، قضية فلسطين . وقصيد « صبرا وشاتيلا » هو تنديد بالمستعمر الغاشم وتوحشه ، وفيه يدعو الشاعر أمة العرب إلى النهوض والتمسك بالحق ، ويشبههم إلى أن الصباح لا يجدي نفعا :

فاليوم لا يثنيه عن صيد الفراخ البلبل الضّادي إذا ما غرّدا  
والقول دون الفعل مقلت فانهضي ردي لك المجد التّكيد مجدّدا

ومن الأشياء التي تلفت الإنتباه حقا هو وجود قسم للهجاء في هذا الديوان في عصر يعتبر فيه الهجاء أسلوبا غير حضاري . ولكنها نار الآلم ورقة الإحساس لا التكبر ولا المشاكسة وسوء العشرة ، هما اللذان دفعوا بالشاعر إلى صوغ هذه الأهاجي المذمعة التي تذكر بأهاجي المتنبي الثائر الناتجة أيضا عن شعور بالآلم القاتل مع الإنفعال الشديد .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يقول في قصيد يهجو فيه الوشاة :  
إن قلت بيتا في هجاكم فأئنسي أخاف على الألفاظ أن تتوسّفا  
ويقول في أحد الخصوم في قصيد « وصفوك » :

ما كنت أهلا للهجا لو أن في وجهك ضموا

ويقول في مشاغب :

ورأيتك قد علاه مشيب خزني رآه عليك فانتحصر الشباب

ومما يؤكد ما يتّصف به الشاعر من رقة وإحساس مرهف وجود قسم للإخوانيات ويعتبر قصيد « إخاء » دليل على أن الشاعر حسن المعاملة حسن المعاشرة له أصدقاء مخلصون ، كما له أعداء الدّاء ما كرون يكيّدون له ، فينهال عليهم يرغي ويزيد وهذه الصفة يؤكدّها أكثر باب خاص بالأطفال في عصر ضعفت فيه الرابطة الأبوية الروحية بين المعلم والتلامذة ، وفيه ترى أن الطفولة محل رعاية كبيرة ، أولام الشاعر كل ما عنده من حب وحنان لأنهم أشبال الغد وصناد المستقبل لأمة فتية :

يا أعزائي لكم بين الضكوع مسكن بالورد مفروش الربوع  
فيه ما تصبوا له أنفسكم من حنان ووداد وريبع  
مزهرا الآفاق وديّ الفدا أخضر الألوان في الفصل البديع

وفي هذا القسم أشعار خاصة بهم تتماشى مع مستواهم ( نورقي - هدية الربيع - كبش الغدا ... ) وهذه علامة رقة تجعله يهبط إلى مستوى الأطفال .

وفي التقاريط يبدو الشاعر بارعا ، وقصائد هذا الباب مطوّلة فيها كل المحسنات البديعية تدل على موهبة فذة في قرض الشعر الخليلي وتظهر فيها العاطفة صادقة . وهذا الفن في طريق الإنقراض ولكن ما أحوجنا إليه . لا شك أن السرور وأن إحساسا رائعا يغزو قلب الشاعر عندما تحبر في ديوانه قصيدة شعر تظهر مزاياء لأن الشعر يبقى أرقى ألوان التعبير وأشدّها تأثيرا . ثم يختم الشاعر بقسم « التسابيح » ابتهالات لله عز وجل ، وهذه التسابيح ما هي إلا قصائد وجدانية ووضعها في آخر الديوان فيه تماش مع الترتيب الكلاسيكي . ويقدر ما يبدو الشاعر مذبذبا ضائعا في قسم الوجوديات يبدو لنا في هذا القسم مطمئنا مرتاح البال يتعمق ما يتعمّاه كل مسلم راض من لسان وطب وقلب يعقب بأريج الدّين الفوّاح وحسن ختام في دار السلام . ويبدو أن هذا القسم جاء متأخرا يتناسب مع عمره .

وخلاصة القول ، إن ديوان « هيام » متنوع الأغراض فهو يشتمل على الغزل والوجوديات والإخوانيات والشعر الصوفي ، كما أنه متنوع الأشكال ، نجد فيه الشعر العمودي والشعر الحر وقصيدة النثر ، فقد واكب الشاعر التطوّر الفنّي للحركة الشعرية ، وتأثر بمختلف المدارس ، لكنه لم يحطّم القالب العمودي في كل الأغراض ، ولم يقض على عنصر الإيقاع . وبقي شعره نخبويا . ولو كان الشاعر ثوريا لالتزم إعدام التراث شعرا وموسيقى في كل قصائده . وهو لم يحطّم القالب العمودي إلا في القصائد الوجودية التي تعبّر عن الضياع والحيرة لفاية فنية . أما اللغة فهي راقية تدل على تمكّنه من أمّزاج البلاغة وأساليب التعبير <http://ArabicArchive.net>

فشكرا له على هذه المحاولات التي جمعها وأتحفنا بها فتركنا في « هيام شعري » بعد اعتكاف وصمت طويلين وهي إضافة نوعية تثري أدبنا التونسي .

وشكرا « لأم البنين » المثالية التي أنتج بفضل ما وقّرت له من راحة هذا الديوان الذي لا يستهان به ، حتى من حيث الحجم ، فهي جديرة حقا بالإهداء . وكلمة الختام : إن الشاعر عبد الوهاب بوزقرو وتر عبقر في قيّارة الشعر التونسي المعاصر له نعمة خاصة .

# ألفه الحب ... ولوعة العاشقين

## قراءة في أشعار الحب عند بول إيلوار

بقلم : خالد رداوي

فاتحة : « ... أحب من أجل الحبّ وسأموت حبا »  
« الحبّ أضمن السبل التي تتبعها للفرار من العالم ،  
وهو في الوقت نفسه أعمق أساليبنا في معرفة العالم »

– بول إيلوار

والاس قاولي

( 1 )

في أفق يتورّد ملتحفا بالمواعيد التي تُعْضِي مع حلم اللازورد الطالع في حشاشة وجه الصباح  
يتدفق عشق يائس ونيخ صميمي وإرتعاش وجداني هو إطلالة متفتحة على الجوى حيث ينحل  
الجرح في أول الحب ، وينطفئ الموت يهذي بأخر الحياة في غيبوب المشاعر المتدفقة برعشة  
دموعنا البكر وبهجة إقتناص لحظة الألم حيث تتبثق شفافية من يباس التأسّي مندفعاً نحو  
اللامحدود ، بول إيلوار أجمل خلقة خلجى يتركشها وجدعات ملون بإيهام الحرقه يتلوى في  
مضاج الذاكرة الندية ولأنه آخر الكلام ، وأول أعدام وأوسط الإيهام المتهجي في قلوب متلعثمة  
بسماعة الحب .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

خَيْرُ سَعِيدٍ  
سَيَاتِي قَدْ الصَّبَاحُ  
هُوَ إِنِّي أَحَبُّكَ

الحبّ نَزِيف سُرْيَالِي ، ائسياب مُتصدّع يَطْفُو بوشانج الغَيْبَةِ إلى تَرافق شُرُفات الهوى البَاسِقَةِ  
الْمُتَحَلَّة في خرابِ القلقِ الْمَمْرُوجِ بِالتَّشْطِطِ الْمُخْتَرِقِ لِدُرُوبِ الْأَلْفَةِ وَلَوْعَةِ الْعَاشِقِينَ ، الْمُرْتَدُّ عَلَى  
بَرَاةِ الْيَاسَمِينِ فَنَزَاحَ شِعْرُهُ غَنِيًّا بِالْوَجَعِ الَّذِي يُفَرِّقُ قَيْضَ الْحُمَى الْعَاشِقَةِ عَلَى طُغُوسِ الصُّرَاخِ  
الصَّادِقِ الَّذِي يُلَاسِسُ رَائِحَةَ التَّوَهُجِ فِي شَوْقِ الْإِرْتِطَامَاتِ الْمَغْرُورَةِ وَفِي مَعَهَمَاتِ الدَّفْئَةِ .

على الأشكال المتألقة

على الأجراس

على الألوان

على الحقيقة الطبيعية

اكتب اسمك

.....

هذا النصّ السّاحر هو أحد أشهر قصائد إيلوار عنوانه « الحريّة » كتبه الشاعر أصلا  
لحببته كما يقول صديقه الشاعر عيفيك ، في هذا الدّفق الحريري يأخذنا شاعرنا إلى عالم فَنّان

/ شفاف / مفارق عن أماننا وأوجاعنا الدائمة يكتب من أجل الحرية وهو يقيم صروحاً من الإلهام والتحرق الجميل في حضن الحبيبة « فنرى قصائده سماء صافية فوق عالم سامع مليء بالأشياء المتألقة بأجنحة الطيور بالينابيع المترققة وبالألوان الشجية بعد الفسق الداخلي ينتصب قوس قزح العالم المحسوس ، ونص حرية لا يلوار يوازي جمالية مرهفة لنص « إلى هيلين » للشاعر الكبير الن بو :

المرأة جوع أبدي  
ورحيل ليس له آخر  
سفر دائم  
شوق يمحّر يحرق عائم

هناك تغلغل في تهاديل الإحساس والنفض المدي في خلجاتنا المتراسة / المتشعبة / المتدثرة بالغيم المهورس بأبجدية الحب الحبلى بمعاني الإحساس الشبيه بأخطاء العاشقين اللذيذة . الشبيه بأخطائنا القادمة ، باخفاقنا المستمر المخلّ في اللامرئي حيث الجنون يأتينا من كلّ الجهات يقول ايلوار :

أغني لكي أغني ، أحبك لكي أغني  
السّر الذي يخلطني فيه الحبّ ويتخلص

يقول الناقد بنيامين برييه « يمحّد بول إيلوار في شعره كلّ هذا الكائن الواحد الذي يمتزج أخيراً بواقع لا تبغفه الكلمات ولا الأفكار ويمزج البحث عن الحب مع البحث عن الوحدة، هكذا يأخذ الحب بعداً اسطورياً » <http://Archivebeta.Sakhril.com>

بول ايلوار يرسو على الحدود الخفية فينبض قلب العالم عند ساعة يرتل قصائده الثاقبة للتاريخ والموت لذلك عاش يدنر شكواه حلم النّوارس التي تتعرى في نجواه بغيبه يضجّ بنبضات القلب يجتاز مداه ، يخال المستحيل ويترشف دم المسافة فيجيء الحب قبل وقت لا وقت له ليلتحم معه في ظلّ تلاشي سراب الوهم الآتي من الإختفاء ، يسأل أسئلة عشقية حارقة دافئة بالأجواب . يقول :

أين أضع شفتي أيتها الطبيعة التي لا شفاف لها ؟  
امرأة هي أجمل من العالم حيث أحيش  
وأغمض عيني

المرأة الجميلة لها حضورها في قصائد ايلوار لأنها كهف القول ، انبثاق الانبثاث المواسي لمداد حروفي المتشابكة في سرّ أنوثتها الممزوج بإيقاع الحضارة المدي في كتابات لحن أصيل من عرش الندى .

يقول الطيب صالح « إنّ الحضارة أنثى إذا غابت الأنثى سقط العالم »  
وفي خلجات أراغون رسمت صور الحب تتنفس شهقة الوداد والحب الجارح فيصدق قائلاً « لا

أستطيع أن أحبك أبداً ، ما دمت أحبك »

وهي من أجمل المخاتلات والبصمات الكحلية العشقية في هذا العصر .

يقول رنيه شار « كنت أحبك ، كنت أحب وجهك الذي خربته العاصفة ورقم منزلك الذي يضم قلبي ، البعض يستسلمون لمخيلة غليظة وضيقة ، يكفيني الذهاب لقد حملت من اليأس سلة صغيرة جداً وهي حبي الذي أمكن حبك بالخيزران »

( 2 )

« يصعب فصل موضوع الحب في شعر ايلوار عن باقي شعره فالحب يدخل في كل موضوعاته الشعرية وكل وجهاته الإنسانية والاجتماعية والسياسية بل يمكن القول أن كل الموضوعات الأخرى تدور حول محور واحد هو الحب ألا يقول غوته « إن الكتابات كلها تصوير وكاما إذا لم يربط بينها الحب ؟ » .

إنه يستخدم كلماته كالحب يداعب اللفظ يراقص اللغة المنبثقة من حلم الغيم الصاعد من تضاريس تنكر تهويماتها وشغيف منعرجاتها التي لا تجيب إلا بشروء انطلاقتي المنعقة بتيه الوتر والرفوف الحاملة .

والعينين اقتناص لهول التوهج وسحر الكلمة ، فتجوس المعاني ، تنبجس بهاء لحنا أصيلا يشعل ابجدية العينين بكلام يلامس اللعنة ..

يقول ايلوار :

في عينيك اللتين تقضحان

وحدثنا اللامتناهية

لا يعود من يظنون أننا هما

لن يعرفك أحد

كما أمرك

.....

حب المرأة يشغل ذهن الشاعر ومديحها تظهر رائع لشاعر فيأضه منبثة فينا انبثا عتيا  
يفازل جرحا متيما في تجواله الكستنائي المحتدم في سماء متوجعة / متوهجة تخاثل مراراتها  
المعتقة بلغة متفتحة على فضاء اللوعة والحب والجوى والتحرق والتدفق .

أخرجي

بمقبورك أن تخرجي بثوب من بلور

فجمالك متكامل

حيناك تذرفان دموعا

ومداعبات

وابتسامات

عيناك اللتان بلا سر بلا حدود

.....

إنَّ جمالية العينين احتفال من هديل كلامي يتصاعد في ثلثاب الجوى المتدفق المتنامي الملتهب  
لا يخمد / المتناغم مع عذابات الجنون الجريح المتخثر في دمن الرخو الممزوج بالمرتكاس اللذيذ  
والعينين الجميلتين حدّ الطعنات نراها حاضرة في قصائد أرغوان يقول في « عيني أيلزا »

هيناك كثيرون العمق لمحين أنحنى لأشرب  
رأيت جميع الشموس تأتي إليها لتتمرّى ...  
وجميع اليائسين يقدّسون باتفسهم فيهما ليموتا  
هيناك كثيرون العمق أضعت فيهما ذاكرتي ..

( 3 )

الحبّ هو سلاح الشاعر في مواجهة كلّ صعوبات الحياة ، والشاعر بتوجهه هذا أيّ الحبّ  
يعيد الحياة / السلام الذي انتزعته منها الموت ، الحب هو تقيض الموت لأنه سبب الحياة ولأننا  
نحبّ قول ايلوار نريد تحرير الآخرين من عزلتهم القاتلة » والكلام لعصام محفوظ .

.....

يقول إيلوار : أحبّ لكنني لم أكن أحب سوى امرأة ميتة  
الموت حرب مفتوحة على الشاعر ، نزال لا يهدأ وحرب أو حذب لا تنتهي رفض للحثف وحبّ  
للحياة وانسياب في الحبّ .

تعني

بأنك ستبتسمين

دائما

بعيدا عن التفكير ربالموت .



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الحبّ فكّ لعزلة الشّاعر دقق ساحر من ضمة الدفلى وحشرجة الياسمين » فشعر بول ايلوار  
هو أقرب في بعض نواحيه إلى شعر لامرتين ويودليز منه إلى شعر ميشو ويريفير معا كان  
الشعر مجددا في لغته وفي رؤيته ، فهو نضوج وتثبيت نهائي أكثر منه نقطة انطلاق ، إنه  
بعبريته يغوص في اختبار نفساني ليبثد اليوم عنه كلّ البعد ولكن ، بما أنّ هذا الاختبار يطابق  
موقف الانسان الأبدي لذلك لا يجب أن نرى حركة مدهشة متروكة على طريقنا بل بالأحرى  
ينبوعا رقراقا ينتظر ظمأ غدنا » والكلام للناقد غايتان بيكون .

يقول في قصائد مهداة إلى ليدا

كنت أغفر ممددة على بطني / وكنت شاعرة به / السماء الثقيلة تسيل في نفسي / بألف بذرة مع  
القمح الحي / بألف من العصافير الجائعة / التي تختبئ لكي تموت .

.....

كلمات الشاعر تدمرّ عالم الخراب ، لتبني صرحا ممتدا متماسعا الذي نتبعه عبر الكلمات  
الناضجة كالشعاع الواض الذي يذكرنا بتلك الرسوم العريقة الظافرة التي تتعدى فهمنا  
فيرفض ايلوار كل شيء إلا الحب

« لا رغبة لي سوى أن أحبك »

يقول أيضا منتصرا للحب

« لقد اكتسبت الحق في أن تحب وأن تحب »

لأن عالم ايلوار عالم بلور ، كون من الشفافية ، كل شيء نقي في صوته يستطيع أن ينطق ؛  
وهج الشمس حبّ اللامتناهي وقصائده التحام والتحام بغنائية رائعة تنسّم فيض حلم خصب ،  
وهو بذلك يرى فيه سبيلا أفضل في معرفة العالم .

فشعر ايلوار هو أغنى شعر بالمجازات ، سماء لا متناهية من الصور المتشابكة نحلق في  
فضاء نديّ من الجروح المثلثة بلون البنفسج وظلّ الحلم ، وهو يكتب بكلّ إحساسه بقلبه /  
بروحه / بجسده بحرقه دامة مهترنة تحكم بصفائر الصفصاف المغفور بصباحات الحب القديم

.....

ولأنّ شعره تخترقه من كلّ ناحية دروب القلوب سترتل القصيدة في فضاء من الحكم هو  
ارهاصات البدايات والنهايات والحلم الجميل يقول : في نصه لديّ أول كلمة شفافة :

لديّ أول كلمة شفافة

لديّ أول ضحكات جسديّ

يخفّ ثقل الطريق

ونعود إلى البداية ١٢

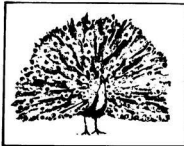


ARCHIVE

\* الإحالات :

\* بول ايلوار 50 قصيدة حبّ ... اختارها وأقدم لها وترجمها عصام محفوظ المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

<http://Archivebeta.sakinit.com>





## ألف عام من التذكار

المهندس الجزائري: أحمد سعدون  
قراءة في : الجسد ، الحركة والمكون

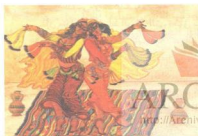
بقلم : لطفي عمي

« طريف جداً إبداع سعدون أحمد التشكيلي ، وهو فعلا إبداع ، لأن الإبداع هو أن تأتي بالواقع مفاهيم للواقع ، ويبقى المشاهد أو المستقبل للإنتاج المبدع يلتذ به على أنه حالة متفوقة للمستوى الممارس من الجمالية العادية ، باعتبار أن الواقع جميل مهم ضرب في منتهى القبح »  
== عبد الرحمن أيوب == (1)

أحمد سعدون تأسره الذاكرة وينفخ في أخيلته روح الأحلام .. طفولته المعرشة بالأمان والتذكارات ، تنطبع على مخاض الألوان ، لتحيل الحوامل إلى فضاءات احتفالية ، بوابح البخور والتربة الندية تتسرب من بين التصاوير ..  
<http://www.archive-beta.sakhrat.com>  
وحركات شخصيه تلوذ زوينة الأحاسيس : لتعضي على إيقاعاتها الإنسانية : نفعا خالدا يورخ لجمالية إنسية .. تنطلق من المنظور الجمعي لتحلق بنا عاليا حيث تجليات الحلم . —

إنه يغادر باستمرار فضاءات المدينة وإكراهاتها ليوقّع قطيعة أبدية معها ، ويعرج إلى عوالم أكثر أصالة وحميمية : إنه يتعلق بأثواب الذات الاحتفالية والمعاش اليومي فيها من روحه حتى يصيرها أعمالا تنطق بالسر والإندهاش .

منمنمات أحمد سعدون .. تفرق في دقة التفاصيل إلى أقصى درجات الإفصاح والبوح ، لتعري عمق المراس اليومي والمناخ الحميمي القبلي .. المشحون بنداات تصلنا من أعماق المعاشرة الإنسانية الأكثر بدواة : حيث الشخص ... لا تتوقف عن الحركة إنها تمضي في احتفاليتها إلى الأبد .



« كانت طفولة الفنان جاهزة لاستقبال الدنيا بما يدب عليها وبما يهب في روحها ، وبما يبث لها ، وؤذف إلى عينها ، إلى أن صارت الطفولة أرشيفا لذاكرة حبل بالأمصوات والروائح والأصوات ها أن الطفولة قد أغلقت أرشيفها وانصرفت الباب على الفنان ولا خلاص فقد وقع الفنان في الأسر ، وقد غصت عينه بما التقطته عتسة الذاكرة »

### **= منتصف المرحلي = (2)**

الكتابة التشكيلية لدى أحمد سعنون تعبر عن روح عام. وعن عمق معنوي يسجل من خلال تلك الألفة وذلك الحس الجمعي: الذي يتداخل ضمن العلاقات المعاشية المشتركة ، إنها محاولة لتعريف تلك الشحنات الراقصة. المهيجة بالفرحة والحركة. شخوصه ليست أنية ولا مينة ولا تعبر عن ومضة مسلوية من تاخي طويل : إنها حوامل لروح قومي .. ينتشي ويواصل حراكه في طمأنينة وسكينة .

الخطوط السهامية والخاطفة توهم بديمومة النشاط والألوان المائية الشفافة تضفي مسحة من الدفء والسكينة.

إن مظاهر النشاط الرفي التي تطوق موضوعاته التصويرية.. ليست منطلقة من مركز مشاهدة خارجية إستشرافية .. عجائبية .. بل هي غوص في تلك الأنغام وتلك الأجرام التي تتشعب بتلايب الذاكرة .. إنني ذلك الصهيل الذي يهز الروح ويستقر في ذلك الماضي الأسر .. ذلك الكل الفرد وتلك الجماعة المنصهرة في روح واحد وفي طقس مشترك .

إن الطائفة التي تنفع في خيال الفنان .. تستجمع قوتها من صلابة داخلية وجدانية رادعة : إنها تثبت الزمن في حيز غائب وتجعل منه المنطلق الأول والأخير للعلم والمفارقة .

الطفولة .. ذلك العمق المهيكل .. تبقى السلطة العليا والفاعل للسيطر ، التي تثبت في اللوحات تلك الإحتفالية وتلك النظرة المحايدة والبريئة : إنه تصوير الواقع من دون عقلنة ولا وصاية .. وحدها تلك المشاعر والإنطباعات تأخذ طريقها للتجسيد .. فالشخص ليس مرفقة ولا عيلة .. إنها مجمل متعاقبة ومستعدة للانقاط مشهد حافل .. خالد ومكتمل .

« لكان اللوحات التي مست أصابع سعنون لا ترسم نفسها ولكن لتسير إلى مهرجان أخضر يوشك أن يحتضر »

### **= منتصف المرحلي = (3)**

#### **تصويري Figuratif عبر خطوط سهامية :**

« تبرز سيطرة الفنان على أنواته ومساحة التكوين فإذا الشخص بكل ما اكتسبت من هيات وملامح وأوضاع تتجسد في فضاءات قد لا تصنف لصفرها ، ولكن من أين لي أن لا أصنف وأنا أعانق الشخص بقوة البصر: هذه السيطرة على تكرارها في جل اللوحات لم تمنع الفنان من توجيه حسه الإبداعي فإذا لمسات الريشة تحوّل الفضاء إلى حالات لونية تعضد المشهد وتنشئ بصريا حركة تطل كل مكونات اللوحة »

### **= أهمية الصولي = (4)**

ترتكز تصويرية أحمد سعدون بالأساس على الرسم الخطي حيث الخطوط le dessin li- néaire تؤطر الموضوعات وتبعث فيها الروح .. إنها خطوط سهامية تتطور عبر الحيوز من الدقيقة إلى أكثر سمكا .

اشتغال الفنان بالخط العربي .. ورث لديه تلك الإتسابية وتلك القدرة على سحب الغرشة عبر حركات خاطفة وسريعة لترسم عبر الخطوط الحافة مراكز الإكتناز والتجاويف على وجه مكتمل .

إن ما يشدني إلى هذه المنعمات هي تلك الحرفية والمهارتي التعامل مع الخط واللون .. وربط الشخص فيما بينها عبر إلتحام حي .. ما ينك أن يطرا حتى يواصل تطوره نحو مشهد وجداني يهز أرواحنا ويدفعنا لإستهلاك اللوحات من جانبا الباطني حيث الأفكار تستقبل عن القراءة لتترك المجال مفتوحا أمام الأريحية والنشوة الداخلية .

إننا نقف أمام كتابة تشكيلية متفردة .. لها رموزها وتقنياتها .. حيث تقبب المدنية الحديثة وإرهاصاتنا عن المشاهد .. الشخص وحدها حية بوجودها الذاتي وأجسادها الملتفة حول مركز واحد .. إنه إلتحام غريزي حول روح الإجتامع .. لينصهر الحس المشترك في فسحة الفلكلور . المرأة والمنظومة الرمزية :

« آيتها المرأة لست من خلق الله وحده ولكنك أيضا من خلق الرجال الذين يجعلونك بقلوبهم جميلة فالشعراء نسجوا لك شبكة من خيوط الأبهة الذهبية والرسماء أعطوا دوما لهيئتك خلودا جديدا »

== طاغور == (5) <http://Archivebeta.Sakhril.com>

تتصدر المرأة جل الأعمال .. إنها تمثّل المركز الأساسي الذي يلتف حوله المناخ الجمعي ... إنها الموروث الحق للأنساق الرمزية والمعتقد ، حيث تمضي في تجسّداتها متألقة .. فانتة ومشتهاة ، تتناسخ في هيكل واحد مكتمل .. يحركها الرسام لتتقمص أنوارا تلقها الحركة والتهيه المستطاب .. إنها تتحرك في أريحية حيث تنخرط في أعمالها عبر المشاركة والإجتامع . امرأة سعدون تقليدية التحلي .. لكنها تخضع لمعايير جمالية حديثة .. إنها تستسر بأثواب المنظومة الرمزية لتمضي في سلم الترقى إلى أقصى درجات الفتنة والأمر والحدائنة .. إنها جميلة مستترة برداء العفة والطهارة .

إنها امرأة الحلم ... خالصة من كل العاهات والشوائب .. تنخرط في العرف الإجتماعي محمولة بالفرحة والعاطفة .. إنها من دون شك : نفخة من روح الفنان في جسد التشكيل .. ليضيف لعالمنا أبعادا جديدة للمحبة والجمال .

« أعمال الفنان الشاب أحمد سعدون ، تحافظ دائما على تفردها : إنها شاعرية وملئية بالحنين لمكان غير قابل للإختراق : يدفعنا في حمّام من الخلود ويمنحنا الصورة المطلقة للسعادة .. سعادة التشكيل »

== الهادي الجلاصي == (6)

- 1948 - ولد أحمد سعدون بسلامة 1966 — 1969 - مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر: إختصاص منمنمات.
- 1975 - معرض برواق القرطاجية : قرطاج حنبعل : صحيفة المنعم الجزائري مقدار ميلود ثم معرض بمدينة سليانة .
- 1978 - معرض بصالون الفنون : شارع ابن خلدون ( عند السيّدة ناحوم )
- 1979 - معرض شخصي بصالون الفنون
- 1980 - معرض بالصالون التّونسي
- 1984 - معرض برواق يحيى ( تونس )
- 1985 - معرض برواق التّصوير ( تونس )
- 1987 - معرض شخصي برواق الفنون ، حي جميل المنزه السادس .
- 1990 - معرض شخصي برواق الفنون ، حي جميل المنزه السادس
- 1996 - معرض شخصي برواق الفنون ، حي جميل المنزه السادس .

\* الهوامش :

- 1 - رسّام يطل على العالم من ثقب إبرة : عبد الرحمان أيوب : 29 سبتمبر 1990 : جريدة الصحافة
- 2 - منتصف المزهني : برواق الفنون ( تونس ) 12 / 04 / 1990
- 3 - منتصف المزهني : برواق الفنون ( تونس ) 12 / 04 / 1990
- 4 - أحمد سعدون .. فنّان الكائنات الصغيرة : أحميده الصوّلي : 27 / 07 / 1995 : جريدة الحرية .
- 5 - هكذا غنى طاعور : الدار العربية للنشر
- 6 - الهادي الجلاصي : 13 / 06 / 1979 - La Presse

## « هُنَا صَفَاقِس »

بمناسبة الذكرى 35 على تأسيس  
إذاعة صفاقس

شعر : محمد بن جماعة



هَـا قَدْ أَتَيْتُ وَرَيْحُ الشُّوقِ يَحْمِلُنِي  
إِلَى عَزِيزِ الشَّانِ وَالْأَدَبِ  
مَا كُنْتُ يَوْمًا وَفِي أَوْصَافِهَا دُرٌّ  
أَنْوِي الْغَوَايَةَ فَيَمُنْ وَشَحَتْ كَثْبِي  
الْوَجْهَ حُسْنُ الْوَجْهِ مَقْضَرَةٌ  
عِنْدَ الْوَاتِي جَمْعُ الْحُسْنِ بِالنَّسَبِ  
مَرَّتْ ثَلَاثُونَ عَامًا تُورِثُهَا خَاطِفٌ  
وخمسةُ أَخْرَ أَنْوَارِهَا مَرْكَبِي  
إِذَاعَةُ مَلَأَتْ مِنْ صَوْتِهَا أَفْقًا  
لِتُونِسَ الْيَوْمَ فَخَرٌ قَدْ مِنْ ذَهَبِ  
هُنَا صَفَاقِسَ مِنْ خَضِرَاتِنَا نَغَمُ  
الْخَيْرِ يَسْقَى كَفَيْتُ نَافِعٍ مُخَصَّبِ  
إِخْبَارُهَا نَسَقَ أَصْوَاؤُهَا سَيْرُ  
وَالْفِكْرِ فِيهَا مَنَارَاتُ مِنَ الْعَجَبِ  
إِذَاعَةُ نَبَتْ الْأَخْيَارُ فِي أَرْضِهَا  
فَانْوَرَقَتْ وَارِفَ الْأَغْصَانِ فِي طَرَبِ  
زَادَتْ سَنُونُ كَمَا لَوْ زَادَهَا حَكَمًا  
فِي صَوْتِهَا الْحُبُّ كَالْخَيْرَاتِ فِي السُّحُبِ  
عَشَقِي لَهَا سَابِقُ خَطْوِي وَهَلْ سَابِقُ

العشاق يوماً معاً سرّاً بلا سبب  
 فيها صنوف كنبراس الدجى حصص  
 أسرارها النور من علم ومن شهب  
 فيها فنون رقيق اللحن تسكيها  
 كالماء عذب يرح القلب من تعب  
 والقول سحر عجيب لذ مسمعه  
 في كل متكاء حر ومنتصب  
 دار الإذاعة ما أحلى ظفائرك  
 أنت العروس التي فازت بلا رهب  
 يا عاشق اللون ، ذي الفرشاة في حيرة  
 هل ترسم العين أم تقرأ من العنب  
 في الدار أهل وإخوان كذا وطني  
 جمع تكاتف عزماً صادق النصب  
 لا يقهر الحرف فيها إن أتى ينطق  
 سلماً وحباً لكل الشرق والمغرب  
 كل الحروف هنا اشتدت سواعدها  
 باتت تصد البلى كالسور في الحقب  
 يا مصدحاً الدار كم ضمخت أصواتنا  
 من طيب أحرقنا ذاعت بلا حجب  
 الله يحفظ ما أنشأت من قمم  
 في كل صوب ترى جمعاً من النخب  
 أحلامهم أفق ، أفكارهم مثل  
 جهرًا تنادي إلى الأعلى من الرتب  
 دار الإذاعة ما أبهى شماثلك  
 معطاء يوماً وأنت الفضل من عرب  
 لا ينتهي القول في هذا المدى وإنما

يزداد وقعا كركض الخيل في الخب  
إِنَّا هُنَا الْيَوْمَ فِي بَهْرِلُهُ الْقَادِمُ  
يَجْنِي عَلَومًا كَمَا سَائِلٍ ، فاشرب  
قالت مُحَدَّثَتِي والسُّؤْلُ فِي خَلْدِي  
هَلْ سَلَكَتَ مَفَارِزَاتٍ بِلَا صُخْبٍ  
دع عنك شعرا وقولا حالمًا وكفى  
أوزانك اهترأت في تافه الخطب  
قُلْتُ الَّذِي فِي تَصَانِيفِ الْهَوَى يَفْقَهُ  
لَا يَبْرُحُ الشَّعْرُ فِي الْأَفْرَاحِ وَالْغُصْبِ  
مَهْمَا يَكُنْ فِي مَعَانِيهِ الَّتِي اجْتَمَعَتْ  
أَحْوَالُ فَخْرٍ وَحُبِّ جَامِعِ خُلْبِ  
وَالْيَوْمَ هَا نَحْنُ فِي عِيدٍ لِدَارٍ لَنَا  
لَا يَمْنَعُ النَّاسَ إِنْ جَاؤُوا لَهَا قُدُمًا  
لِلسُّؤْلِ يَوْمًا وَخِدْمَاتٍ عَلَى طَلَبِ  
دَارِ الْإِذَاعَةِ خَيْرَاتٍ لَهَا سَبَقَتْ  
فِي كُلِّ بَيْتٍ لَهَا أَذَانٌ مُقْتَرِبِ  
هَذَا نَدَاءٌ وَهَذَا قَارِئُ الْخَبْرِ  
وَالصَّوْتُ سَبِيلُ أَثِيرِ جَامِعِ الْعَرَبِ  
لَهُ دَرُّ رَجَالٍ خَلُّوا أَثْرًا  
مَا كَانَ فِيهَا وَلَمْ يُغْلَحْ مَنَاوِقُهَا  
تَرْغَى حَمَاهَا أَسْوَدُ تَذْهَبُ رِيْبِي  
فَانْعَمُ بِدَارِ كَسَاهَا الْوَدَّ حَلَّتْهُ  
فِي صَدْرِهَا الْمَسْكُ وَالْأَعْدَاءُ فِي لَهَبِ .

\* بثت هذه القصيدة في سهرة تشيعية على هامش احتفالات إذاعة صفاقس بعيد ميلادها الـ 35 ٪



# رسالة إلى غربة تقيم البكاء غيابا

شعر : عادل الهمامي

\*مهداة إلى فوزي الجبالي صديقا وشاعرا ومؤلفا مسرحيا .

بيننا الأيام تنسج ذاكرة من رحيق  
والورود التي داهمتنا بالنقاء  
انغمست في أهداب من سهر  
وفي الحكايا  
وفي مواعيد للحروف  
ولاختلاف الحالة في الإزدحام ...  
كل الوجوه تحطّ هنا  
على طاولة من لقاء  
غير الوحشة الآتية مدارها الوجه  
فكل الغرباء وجوههم أنقى  
من الذين بلا نية في الحب  
وأنت تيار البوح نحو قلبي  
ومدائن روحي فتحتها منذ الزمن الأول للانشراح  
فكن كانت  
فنحن يجمعنا الحب

وكره الانقلاب  
ونحن صفاء اللقاء  
وبعث دون غربة من ضباب  
ونحن مدارات الأنين  
غير أننا النقاء  
ونحن كما نحن  
غربة تقيم البكاء غيابا ....  
يا حبيبي كيف البكاء يقيم الغياب ؟  
أسألك

وأنت بقلبي  
أراك تفيض برغم دمعي  
أراك غطاء ات جرحي  
أراك القباب  
  
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

فكن كما أنت موطننا لفؤادي  
برغم الذي يتنافى وظل الغائبين  
رغم أزمة الحب فيهم  
رغم انهمارهم على جسد الذبول  
رغم كل أزمة الضياع  
وكل أرصفة الغياب .



## حالة عصيان قصوى

شعر : عيد الدويخ

- الكويت -

هل يعلم  
هذا الخفاق المتجذر  
في طين الروح  
بأن المتمركز أعلى الكتفين  
يصتدر ما يرسل

عبر العينين ،  
وعبر الكف الممدودة  
شوقا  
<http://Archivebeta.Sakhi.com>

في اللقيا . !؟

هل يعلم  
هذا المتمركز في الأعلى  
أن أوامره تعصى  
أحيانا  
من ساعيه اللاهي المتدثر  
بالملل الأبدي من التكرار . !؟  
هل يعلم



هذان الاثنان

بأن جهاز إستقبال الطرف الآخر

لاه ...

يستمتع في فك رموز رسائل أخرى

تأتيه تباعا ؟!



هل تنسى الروح المتحكمة ،

ARCHIVE

العطشى العشق

http://Archivebeta.Sakhr.com

الاثنين

وتأمر بالصلح

وتسلى . ؟!

لكن اللحظة تمتد طويلا

والطرف

لاه

يتزئّر رغبته الولهى

ويفك رموزا أخرى

تأتيه تباعا ؟

## هل كوابيس ... هل رؤى ؟

شعر : أميرة الرويقي

مدى ...

هو في الخارطة

لا مقر ..

بتضاريس الأرض .

تتحطم ..

أعمدة النور ..

ظلماء ،

تتداعى ...

صروح الرقص

تناسلت ..

فوق شراشف الليل ..

خفافيش ..

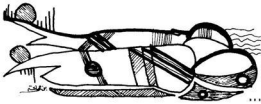
تمارس الجنس ..

الرجس

النحس

الكوابيس ..

أقواس الرؤى ،



رِجَالُ ...  
هَلْ هُمْ رِجَالُ ،

نِسَاءً ..

هَلْ هُنَّ نِسَاءً ؟

نِسَاءً ...

رِجَالُ

رِجَالُ

نِسَاءً ؟

ARCHIVE  
http://Archivebeta.Sa...  
لَسْتُ أُدْرِي ؟ !  
تَشَابَكَتْ أَحْرَفُ الْعَشْقِ ..

هل استهتار ؟ !

هل رثاء ؟

تَقَوَّعَتْ ...

لُغَةُ الْقَلْبِ ..

اندلعت ...

في صمت الضوضاء

كُلُّ أَصْوَاتِ الْفَنَاءِ

13 ماي 1996

## قصائد قصيرة

شعر : مختار المومني

\* جسد وقلب

هذه أنت

جسد من صهيل

ونار

وهذا الفتى

قلبه من رماد



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

\* إليها

العمر جمرة

والوقت من رماد

وأنت يا حبيبتني ...

سيجارة منطفأة

\* قراءة في كف

أقرأ في برج الدلو  
اليوم الرزق وفير  
لم يا صاحب برج الحوت  
أطردت من الشغل

## \* قارب

كان القارب ملقى  
عند الشاطئ مهمل  
مرّ العام  
وراء العام  
والقارب عند الشاطئ مهمل  
مرّ العام  
وراء العام  
والقارب عند الشاطئ ملقى  
مكسور الصاويء  
مهنوم الوجدان  
أمس الأول  
ألقي المركب نفسه  
وسط الموج ..  
وغاب ..





# أريج الأصدااء

## الأريج الخامس : براعم الشوك ديباجة البراعم : الخروج من وهم الإنتظار

بقلم : محسن الكريفي

بأيّ اللغات ساكتب عن وجهك المرتجف ؟  
وأيّ الرّوايا الغريبة ألقاك فيها ؟  
أما زال جرحك يرهق كلّ العقاقير ؟  
هل أرغمتك المدينة ،  
هل أوهمتك العناقيد لما انحنت ؟  
أما زال من يقتلونك ليلا  
نهارا يريدون أن تعترف ؟  
أقمت زمانا أفنّش في الهم  
عن لحظة تخرق الوقت ،  
عن لعنة لصهيل الجبل  
وصيرك البحر عندي  
تراثا ثقيلا ثقيلا ...

ARCHIVE  
www.Archivebeta.Sakhrit.com  
- لتفحص عهد العلام - الجزائر .

### البرعم الأول : التّراث الثّقيل الثّقيل ...

من دهور غبرت .. من حضارة الكلدانيين وحدانتهم المعلقة إلى البابليين وعهد حمورابي ... من  
الأشوريين والإله الذي لا يقهر « آشور » وإلى السّومريين وعشتار وتموز ... من سدّ مأرب إلى  
حضارة ما بين النّهرين ... ومن دير ورقة بن نوفل إلى دار الأرقم بن الأرقم ينتصب عمود اسمه  
التّراث ، شامخ كالإله " مريوخ " ، عابس كسلافة بنت سعد ... رعديد كحقد هند بنت عتبة ...  
طافح كامبراطوريات الرّشيد تشرح المزنة كما تشاء ... فيأتي الخراج وتسلم في ركبائها الحجيج  
على حدّ عبارة المتنبي ... إنّ هذا التّراث على امتداد عصوره وأعلامه وأماكنه ثقيل ثقيل ثقيل ،  
تناقضاته ، يسموه وسقوطه ، بدراما أحداث المتعاقبة والمتشابكة ... بمنزلة القمّة والقاعدة ...  
بقيمة الكلمة فيه ... أن ننظر إلى هذا التّراث بهذا المنحى الإجماليّ ليس هيّنا وقد يخلو من  
المنهج الأكاديمي ... ولكن مجرد خطّ إشارة تحت هذا الرّكام الهائل يُعدّ نبشا لصدى ما زال  
صوته مرنّيا في عوالم الذّات ... صوت على وقعه تلعلع أصوات لتتوالد الأصوات صوب مرامي  
ليس لها قرار ... إنّ إلقاء نظرة متسرّعة على هذا الرّكام الحضاري يشدّنا إلى معالم سجّلها الفكر

الإنساني ... إذ تلحظ أن هذا التراث كان حلقة متسلسلة ولّد محطات ذات بال ... فقد استوصب تلك التجارب الجامحة في حضارة تقوم على العصبية القبلية والرعي والتّرحال وقول الشعر إلى تصوّر أشمل يدعو إلى الإخاء والعبادة والتّواصل الإنساني بعيداً عن التّمايزات بين مختلف الأجناس ... إن منزع العصبيّة والتعصّب بدأ يخرج عن أطره الضّيقة . فالرسول قد نزع عن نفسه تلك الهالة المؤلّهة للقائد كان دوماً يقول : « أنا ابن امرأة تأكل القنّيد أخطئ وأصيب و » سلوني في أمر دينكم أمّا دنياكم فأتتم أولى بها ... » وعندما رجع من المدينة ظافراً ، فاتحاً لمكة .. لم يستقبل استقبال الأباطرة ... ولم تقم له الاحتفالات وتدنّون فيه الملعقات ... ولا الحويلات ولا المطولات ... بل كان متمسحاً إلى أبعد الحدود ملتصقاً بالسّلام « من دخل بيته فهو آمن » كان يصلي فوق ناقته شاكرًا راضياً ... لم يضرب الأعناق لم يشمت ... كان حليماً ... كان مثلاً لأصل هذا التّراث ... وشتّان بين أصل وفرع ... بين تراث أنجب الخنساء وقد ضحّت بأبنائها الأربعة رغم عمق مُصاب عمرها الأرذل ... وبين سُلالة وكانت تحلم أن تشرب الخمرة في تحف الرّؤوس ... رؤوس أبناء العمومة ونوي القريبى ... ليس المجال فسحاًكي نلّم الشّواهد الكثيرة ... إلّا أنّ مجرد الإيماءات الجزئية تلخّص الحالات ... فهنا هو خطيب معاوية بن أبي سفيان يصرخ في الملأ : أمير المؤمنين هذا وأشار إلى معاوية فإن مات فهذا ، وأشار إلى يزيد وإن أبيتم فهذا وأشار إلى سيفه ... « هنا ينقلب الدّيكور إلى مسرحيّة جديدة ويصرخ أبو حيّسان التّوحيدي : « لم طلبت الدّنيا بالعلم ، والعلم ينهى عن ذلك ، ولم لم يطلب العلم بالدّنيا . والعلم يأمرُ بذلك ؟ »

... هي صرخة من أعوزته الحيلة بين مطلق أصل يرسم وتليّفة المرید وبين واقع يهرس الكلمة ويقرّم صاحبها ... فظهرت ثنائيات أعلام تذكّر بأعلام الفزّل العذري ولكنّه غزل بين الثّقافة والسّياسة ... فكان المأمون وابن حنّبل والمنصور وابن المقفّع والقائمة طويلة ... إنّها الشرارة لبداية الدّمار ومزقوا الحروف في الأوجال  
دمي بأسمالي  
أنا هنا بلا أسعال  
حرّ كهذي الثّار والريّح ، أنا حرّ إلى الأبد ....

## البرعم الثّاني : « برعم الثّوك » لهذا البرعم

بعد غد أريج ...

- وأخيراً جاء صوته رجع صدّى ... جاء من بعيد ليقول :

- حبيبي

- لا تلعني

- ولتدعني يا صديقي

- لا تضع خلفي النّقط

- إنّني أهوى فقط

- فلتجب إن زود اللوام عدلا

- كان طيرا رائعا

- ثم سقط !

- ولتضع بعض النقط ...

بهذه الكلمات شدا ضحية الحجب ، من عانى صخرة الشغل الميامنة وصلب الشعر الأكبر ...  
قد يكون من اليسير أن تقول شعرا رغم أن الفرزدق أقسم يوما جازما : « لقول بيت شعر أسير  
علي من قلع ضرر » ... قد يتيسر الكلم وتهادن سماسرة الكلمة وحرأس بواباته ... ولكن أن  
تكون من سلالة المتمردين ، الرافضين ، المتحدثين فذلك العسر بعينه ... لقيته يوما قانضا في  
« أرض الميلاد » ... كان الكل آنذاك يلعن حرب الصحراء إلا هو فقد كان الشاكر ... قال لي  
إنها غريال نعمة ... وكيف يفصل القمح عن الززان ؟ وكيف يعرف الدر من الحسك ؟ كنت تقرأ  
في وجهه ألف أضحوكة ... يستقبلك رغم الداء والأعداء رغم مزارع الحسك ينتعش فيها الفناء  
... يستقبلك بضحوكة اللغزية ... لم أكن أعرف أنه يحمل في جرابه المفاجأة ... ولعل المفاجأة  
وليدة لحظتها ... بعيدا عن المواعيد والقشور والأشباح ... عندما أهداني يوما مجموعته كنت  
أظن أنه ككلام ابن الفارح إلى زفر أو رضوان ... ولكن عمر العبيدي ليس من هذه السلالة ...  
ظل على طبعه مذ كان في بداياته وفيها لبناث الدهر ذلولا للعلياء السماء راضيا بما قسم الدهر :

إنني من برعم الشوك رفيقي

أكشف الثآلب وأخفي العبرات

وأحب الورد والشوك سونيا

وأعاني الصئب من أجل الحياة

غير أنني مثلما عاش جدودي

أحصد الخبز وأحيا بالفتات ...

إنه العبء الثقيل المحمول على العاتق ... ماذا عساه يكون ؟ أبشرى بانعتاق من أصداف الدهر  
وأصدائه ودعائه ؟ أم إعلان بأن الألعة متأصلة في عمق التاريخ وأنها حلقة لميراث ثقيل عجز  
سليمان المنطقي أن يفيض فيه وصدق شاكيا ، « الليل ليل والنار نهار ... » لست أدري ؟  
فالكتاب ما زال غلغا والحواشي شارع مكتوم هو لب الكتاب أو عمق لشاعر أقسم أن يلد رغم  
العقاقر وأنوار العمق والخصي ... إنني أفهم اليوم صدق أريجيه وقد كان المنزوي صحبة خللته  
الأولياء يضحكون ويضحكون ويضحكون ... ولكنه ضحك كالبكاء ما أحوجنا إليه ... لأن الأمطار  
في عصرنا لم لوحدنا تخصب الثرى ألم يقل ابن جيكور ... وفي كل عام ...

حين يخصب الثرى

نجور ...

ما مر عام والعراق

ليس فيه جور ...

عصرنا محتاج إلى سعاد أسطوريّ : مزيج من الضحك والبكاء ... واللوعة والدَّهَاء ... والنار والبهاء لينتج برعم الشُّوك ... وقد أثبت العلماء أنَّ الثَّبات الشوكي تهايه المخلوقات ويسرح في محيطه أمنا ... ولو كان الشَّابي معنا لغير حكمته: ... لقال << من يقبَل الجراح يجن براعم الشوك >> ..وعمر العبيدي جرح كثيرا كثيرا ... في دجى الليل جرح ... وعلى مرأى السَّرَاب والأشباح صلب ... وعلى رضاب رُعاف الأفاعي نكب ويقشور الثَّيغ المحروق كوي ... حصد الشك فطلَّ صامتا ... ظلَّ برعما ينتظر قطر الدَّدى ليتفتق ... فقد عجز الطبيب عن فك لغز صمته ألم يقل المتنبّي :

يقول لي الطبيب أكلت شيئا  
وداك في شرايك والطعام  
وما في طبّه أني جواد  
أخسر بجسمه طول الجمام ...

ملّ جوادنا الحيطان المساء والمدن المباغي والإجتماعات على ولائم لحوم البشر وما أبشعها عندما تلوكها أنياب الغرران الهركسة والكلاب المشرشرة ... ملّ الصنعت ... ووصفات المتطبّبين فعائق الثَّرات الثَّقيل في أجل تجلياته ... بدأ بالأمر أسوة بالإله في طلبه الرُّسول : << اقرأ وقال عمر العبيدي : >> اتَّضح ...

اتَّضح يا أيها اللّيل اتَّضح !  
الدُّرب أشباح الامسها وتناى للسَّرَاب  
والحبّ ! امرأة ضباب في ضباب  
وطن ! قشور الثَّيغ في عود الثَّقاب  
شك تفلل في دمي  
هك أطارده يعود  
يا أيها الدُّرب اتَّضح !  
عليّ أمير بين شوكك والورد ...

وبين القراءة والوضوح علائق متشابكة وبين الشوق والورد قصّة طويلة لأريج يفوح وبناسة تسكن الأغوار ... وبين البرعم والشوك تزاوج لا يفقهه إلا من كرّم من مناهل الدهر ، وعاشر بناته المجرحة ... عمر العبيدي لا أخاله ما زالت تحتاج إلى أريج فإن تحديق أفحمني لأقول لك من بعيد : لهذا البرعم بعد غد أريج ...

البرعم الأخير : عذاب الكتابة للبياتي ...

حين يموت المؤلف  
قد يأخذ النص بعدا جديدا  
ويتخذ الجزء بالكل

تصبح كل المناهي وطننا واحدا  
تختفي كتلة الثلج تحت ماء البكاء  
ويصير اللقاء وداها  
ولفشاء الكتابة سقط متاع  
وكان سباق المسافات ما بيننا أملا..  
الوصول إلى مدن العشق  
لكننا لم نصل  
كل ما كان ضاع  
بماذا سابدأ ؟  
ها أنت ذا ترتدي معطف المطر / الإحترق  
وها أنت تكتشف الآن ...  
بعد لغوات الألوان ...  
بأنّ الدُروب لروما لا تؤدّي إليها ...  
وبأنّ الكتابة قاتلة الشعراء ...

ممسقط في 9 جانفي 1997

سلطنة عمان

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



## عالم آخر غريب ... رهيب ...

بقلم : عبد القادر الطويهي

كان اليوم السبت، وكانت الساعة الرابعة بعد الزوال عندما كنت جالسا في دكان خياط تقليدي ومعني صالح وأحمد وعلي، وكان هؤلاء عادة ما يقصون القصص للترفيه أو يثيرون النكت والطرائف وكان قصدهم أن يعيشوا جواً فيه متعة وفيه مرح حتى يتخلصوا من رتابة الحياة ويحرروا من أغلال مشاكلها التي لا تنتهي .

وبينما هم منغمسون في هذه الحياة اللاهية الضاحكة إذ يطل عليهم عابر سبيل عليه غبار السفر .

عابر السبيل : يا جماعة ! أنا أخوكم مغربي كان حقاً علي أن أسافر إلى مدينة القصرين لزيارة سجين هناك . فهل فيكم من يتصدق علي ببعض النقود ؟ وأصفت الجماعة لمقالته ورفعوا أعينهم إلى السماء ثم أطرقوا ولم يحركوا ساكناً أما أنا فاندخلت يدي في جيبتي وأخرجتها فارغة ولكنني سرعان ما التفت إلى صالح وقمست في أذنه فناولني على عجل بعض النقود ويدوري ناولتها إلى عابر السبيل .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وكان علي أن أقضي الدين بعد ربع ساعة فقط فمررت أمام دكان بائع يقول لأصل إلى الجزائر المجاور وبعد أن قمت بعملية الصرف عدت مباشرة إلى دكان الخياط ، ولم أكد أتجاوز البقال حتى زلت قدمي ووقعت أرضاً ولكنني نهضت بكل يسر دون أن أحس بأي أثر لهذا السقوط وحمدت الله على السلامة وقلت : « من يعمل خيراً يجزي به » .

مضى يومان وعن لي في اليوم الثالث أن أستحم في أحد الحمامات الشعبية وبينما أنا أغتسل وكنت عارياً نظرت فإذا في مكان ما من جسمي إنتفاخ وتواء فافزعني ما رأيت وتوقعت شراً وظننت كل الظن أن ذلك من أثر السقوط وضاعت علي الدنيا بما رحبت وبت فريسة لهواجس كثيرة ...

أمر دفن عن له أن يظهر الآن ؟ أهو تمزق جديد ما كان ليحدث لولا هذا السقوط ؟ أم الذي أراه هو شيء عادي جداً ؟ إن الهواجس قد نهشتني وأنا أستحم ونهشتني وأنا أتجفف من عرق ونهشتني وأنا أقطع الطريق إلى منزلي ومع ذلك فقد عقدت العزم كل العزم على أن ألوذ

بالكتمان وأخفي الأمر وأتعلق بأهداب الصبر ريشاً أفكر في طريقة للعلاج .

وقد بدا لي أن أعرض مشكلتي على ابني، ولكن سرعان ما تراجع وتعاوبتني الفكرة ومرة أخرى أقررّ التراجع وأقمت يوماً وبعض يوم على تلك الحال أقررّ ثم أتراجع وفي آخر المطاف صممت على عرض الموضوع عليه كي أستشير برأيه .

- شكري ! عندي مشكلة حيرتني أحب أن أحدثك عنها على أن تبقى سرّاً بيني وبينك .

شكري : عندك مشكلة حدثني عنها بكل صراحة .

- حدث أن زلت قدمي فوقعت أرضاً فأحدث ذلك في مكان ما في جسمي إنتفاخاً شديداً وتوتراً بارزاً .

شكري : لتعرض نفسك على الطبيب المختص في الجهاز الهضمي وتأخذ رأيه في المشكلة .

- إذا كان لا بد من عرض نفسي على طبيب مختص في الجهاز الهضمي فليكن الدكتور ص - ت المنتصب بالعاصمة .

شكري : أمّا أنا فافضل أن يفحصك الدكتور المختص في الجراحة العامة الأستاذ : كمال العياشي دون سواء .

- هذا الرأي أطمئن إليه . وغدا أسافر إلى العاصمة وفي حدود الساعة السادسة صباحاً ركبت القطار وكنت طيلة الرحلة فريسة لكل المخاوف . ماذا سأقول للدكتور العياشي ؟ أقصّ عليه قصتي كما وقعت ؟ حتى لا أخون نفسي فقد قال حكيم في غابر الأزمان : « من كتم السلطان نصيبته والطبيب مرضه والصديق رأيه فقد خان نفسه » أأنا مقبل على عملية جراحية ؟ أكيد ما دمت سأذهب خصيصاً إلى دكتور مشهور في الجراحة العامة . لعلّ أمري أهون من ذلك بكثير ! من يدري ؟ إن الله هو وحده الذي يدري . أمّا أنا فلا أملك إلّا الصبر .

وبن شعور منّي تحرك لساني بهذه الآية الكريمة : « ويشتر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون » .

ولم يكد يغادر القطار باجة حتّى جلس إلى جانبي أحد أبناء باجة وطفقنا نخوض في أحاديث كثيرة فيها الجدّ وفيها الهزل دون أن نتغلّب على المسافات الطويلة التي قطعناها، ووصلنا العاصمة وودعت مرافقي وسلكت طريقي إلى محطة المترو أين ركبت مترو رقم 2 في إتجاه المنزه أريانة وفي عيادة الدكتور العياشي قالت لي الكاتبة : إن الدكتور لم يات بعد تعال اجلس في قاعة الانتظار وواصلت .. إن الدكتور قادم إن شاء الله .

بعد عشرين دقيقة دعيتي الكاتبة للحضور إلى مكتب الدكتور وبخلت المكتب وأنا كئيب متشائم أكاد أكون منهاراً تماماً وكنت أحسب أن أوّل كلمة أسمعها بعد فحصي هي إشعاري

بيده رحلة من نوع آخر وإعلامي بالسفر إلى عالم آخر دون أن أودع الناس والطبيعة والأرض وكل ما هبّ ودبّ إن كل هؤلاء من حقهم علي أن أودعهم الوداع الأخير قبل بدء الرحلة .

الدكتور : مرحبا يا سي - ع - لست غريبا عني إنني أعرفك جيدا . نسيت فقط المناسبة .  
حقاً إن كلمة الدكتور هذه قد أحدثت في نفسي انقلابا عميقا جداً أحدثت تغييرا جذريا في كياني فأحسست بكثير من الإرتياح ويكثر من الإنشراح حقا إنها أنستتني ما أعاني من هلع وخوف وأقبلت عليه بنفس مطمئنة راضية كل الرضى وسارعت بكل عفوية إلى عرض قصتي عليه . وكان يصغى بإهتمام بالغ ثم دعاني إلى إجراء الفحوص الضرورية وفي غضون ذلك بدا عليه كثير من الإرتياح إلى النتائج الأولية لتلك الفحوص .  
الدكتور : ستجري عليك عملية جراحية إنها ليست خطيرة .  
- تمتعت وأنا أرتجف « عملية جراحية » ألا تكفي وسائل أخرى للعلاج ؟

الدكتور : لا تخف إنها عملية سهلة بل أقترح عليك أن أجريها هذا اليوم إن لدي متسعاً من الوقت .

- كما تشاء يا دكتور ! خاصة إنني لم أتمشّ البارحة ولم أطعم هذا الصباح فأتا في وضع يسمح بإجراء العملية هذا اليوم . قلت في نفسي : الدكتور يتعجل إجراء العملية لأنه يشعر أن علاقة متميزة تربطني به وحتى يكون وفياً لهذه العلاقة صمم على أن يريحي من هذا المرض أو هذه المشكلة اليوم قبل غد ؟ لأنه إقتنع بأن مرضي كان خطيرا لا يقبل التأخير ؟ سلّمني الدكتور إعلاما مكتوبا ودعاني إلى الإلتحاق بمصحة الأمان .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بعد أقل من عشر دقائق كنت في المصحة سلّمت الإعلام إلى مكتب الإستقبال وعندما دفعت ما طلب مني من المال كلّفت بي ممرضة قادتني إلى الطابق الثاني أين حدّدت إقامتي في بيت رقم 311 وانتظرت وطال إنتظاري وسألت عن الدكتور الجراح وسألت عن الدكتور المخدر ( المبتّج ) فلا سمعت جوابا مقننا ولا أحسست بأي إهتمام بالموضوع كأن العملية لن تجري هذا اليوم وكان الأستاذ العياشي لن يحضر بالمصحة وكان المبتّج في إجازة طويلة الأمد ولا ترى إلا المرّضين والمرّضات يغنون ويروحون إنهم في حركة دائمة وصمت متواصل .

وبينما كانت الساعة الثالثة على الأبواب إذ دخلت علي ممرضة تحمل كساء أخضر وفي لهجة حازمة صارمة : اخلع ملابسك وإلبس هذا الكساء وتتابع دخول المرّضين والمرّضات علي هذا يغرز إبرة في ذراعي فتتمتص شيئا من دمي وهذه تضغط على زندي بألة ضغط الدم وآخر يدخل آلة قياس الحرارة تحت إبطي وتكثف العمل ونشطت الحركة داخل البيت وابست الكساء الأخضر أهذا هو كساء أهل الجنة ؟ أنا راحل إلى عالم آخر ؟ أنا في آخر محطة على الأرض ؟ ودون إبطاء جيء لي بعربة مجرورة ذات عجلات أربع . قال لي ممرض سننزل بك إلى الطابق الأرضي



تعال اركب هذه العربة وتمدد عليها قلت : " دعني أنزل إلى الطابق الأرضي راجلا إنني لست من الضعف بحيث يجب أن أحمل على عربة " .  
المرئش : لا لابد أن تحمل على العربة ومعددا حتى نوصلك إلى قاعة العمليات .

وكان للمرئش ما أراد ، تمددت على العربة كأن الرحلة من هنا تبدأ وعلي أن أنهيا لسفر بعيد .  
وجر العربة إنسان ودفعها إنسان آخر وبخلنا جميعا أنا والعربة والجار والدافع المصعد وإن هي إلا لحظات حتى توقف المصعد وفتح الباب وخرجنا جملة واحدة لا تفصيلا الجار والمجور والدافع ومال بنا الجار إلى قاعة العمليات وأوقف العربة موازية إلى سرير الجراحة وتعاونت العربة مع السرير بإذن من الجار والدافع كي أحول العربة إلى سرير العمليات معددا وبدأت عملية الإنعاش بغرز إبرة ينساب منها " السيروم " داخل جسمي ، وظهر لأول مرة المساعد للجراح الدكتور م - ع المختص في التخدير ، إنه رجل عملاق مكتنز الجسم ذو عينين واسعتين بركاتين تعلو محياه حمرة شديدة بكل من يراه يرهبه ويخافه ، وظهر إلى جانبه مساعد آخر هو ع - م - إنه رجل نحيف الجسم خفيف الروح تغلب عليه البراعة ويتحلى باللفظ وحسن الخلق .

حقاً إن ما يجري داخل المصحّة الآن هو موكب يخطو نحو هدف واحد هو مرافقتي إلى آخر محطة لي على الأرض إنه موكب كل شيء فيه أبيض ناصع البياض الجدران بيضاء ، السقوف بيضاء ، الكراسي ، المناضد ، الأسرة ، البليز ، الستائر ، دورة المياه ، الفوانيس كلها بيضاء حتى المرءضون والمرءضات هم أيضا بيض ويرتدون ملابس بيضاء من يراهم يخيل إليه أنهم ملائكة جاؤا ليسبحوا في بحار استبدلت زرقاتها بياضا ، أكان هذا المنظر يخفي الحقيقة ويطمس الواقع ؟ لعل اللون الطبيعي والمناسب للمصحّة ولو اكبرها هو الأسود القائم الحزين أنه شعار الحداد على إنسان سيقادر آخر محطة له على الأرض إلى عوالم أخرى .

أكان الموكب يتفاءل بهذا اللون الأبيض لمن قد يرحلون ؟ أكانت عملية المرافقة مجرد عملية روتينية يقوم بها الموكب في كل مرة لا بدافع التفاءل أو التشاءم ؟

الأمر الذي لا شك فيه أن شخصا واحدا من أفراد الموكب هو وحده الذي يحاول بكل الوسائل ويسعى جاهدا كي يؤجّل السفر ويفشل الرحيل وإن يهدأ له بال حتى تغلق أبواب العالم الآخر إنه الدكتور كمال العياشي ومن حسن حظي أن الدكتور الجراح هو الذي يقود الموكب .  
أما سائر من ضمه الموكب فيفعلون ما يأمرهم به الدكتور الجراح غير أنه لا يهمهم أتت الرحلات أم ألغيت ؟

الدكتور المخدر الرهيب والمرئش المساعد ينتظران وصول الدكتور الجراح بكل جدية وانضباط وفجأة يقتحم الدكتور العياشي باب القاعة في تودة وأتزان بأنه رجل يملك جسما متوازنا وشخصية متكاملة ونفسية طاهرة زكية وروحا مفعورة على البر والجراحة عنده لم تعد

مجرد نظريات أو براعة يدوية بل هي فن أصيل فيه ، هي جزء من ذاته ، هي عنصر من عناصر كيانه . ويدخل الجراح أخذ النشاط شكلا آخر . بدأت المرحلة الحاسمة .

ينطلق الدكتور المخدر ( الرهيب ) في غير إشفاق وبون رافة فيغرز إبرته الشريرة بنت الشيطان فأرتني النجوم في الظهور وأحسست أن روحي انفصلت عن جسمي في محاولة أولى وتمّ تلقيع نصف جسمي بمخدر وإن هي إلا دقائق حتى بات ذلك النصف المخدر من جسدي مشلولا تماما بل جثّة هامدة أبدأت الرحلة بهذا النصف المشلول على أن تكتمل بالنصف الثاني بعد قليل أم ستؤجل الرحلة إلى أن تجرى العملية ؟

وضع المساعد ع - ع - ستارا بين نصفي الأسفل ونصفي الأعلى فتغطت حاسة العين عندي لتفسح المجال لحاسة السمع وتسمعت فإذا حوار يدور بين الدكتور الجراح والدكتور الرهيب وأشخاص آخرين لم أتعرف عليهم وفهمت أن الدكتور العياشي يجمع أدوات الجراحة يختبر سلامتها الحوار يتواصل هادئا مترّنا أما أنا فقد عشت في اضطراب كاد يفقدني وعيي وفي حرص شديد للتعرف على حقيقة ما يجري أنتظر بفارغ الصبر بدئ العملية . أهى قد بدأت ؟ وأصفي فإذا الحديث يتواصل هادئا مترّنا وأفهم مرة أخرى أن العملية لم تبدأ بعد وأستسلم مرة أخرى إلى الإنتظار يعذبني بنهشني يقطع أوصالي وتمضي عشرون دقيقة أو خمس وعشرون أو أكثر من ذلك أو أقلّ إنني فقدت الوعي بالزمان كلّثني وضعت خارج مداره وأنا في اضطراب وذهول حتى أحسست أن واحدا لم أتبينه يقف عند رأسي ويقول وهو يبتسم : « إن العملية قد تمّت » أتعت في جسدي أنا ؟ كيف تتم وأنا ما أحسست بها تماما ؟ أعلها قد تمّت في جسم آخر غير جسمي ؟ ولكن سرعان ما صدقت لأنني كنت أعلم أن الدكتور العياشي قد عقد العزم على أن يؤجل الرحلة ودعا الموكب إلى مرافقتي إلى الطابق الثاني .

وعادت العربة بي مجرورة ومدفوعة إلى حيث حدّدت إقامتي ببيت رقم 311 ويعد يومين من النقاهة غادرت المصحّة ذلك العالم الغريب ... الرهيب ...

## « عرس في مقبرة »

بقلم : علي السباعي  
العراق -

- كنتُ أحسب أنني أعيش في عزلة موحشة ، كل ما فيَّ ينتمي إلى الماضي ، حتى أنفاسي فإنها تصدر عن الوحدة المنفردة بداخلي ، اكتشفت من يشاركني وحدتي .  
أنظر إلى الشمس الغاربة ، وكأنها قرص أحمر ملتهب شرخ حياتي إلى نصفين : - عزلة ، وخذلان ، هكذا أنا عندما أقوم بجولتي في تفتيش المقبرة خوفاً من عبث السراق ، أفاجأ بامرأة في عقدها الرابع ، تلف حول وسطها عبايتها ، ويذا جسدها مترهلا وهي تسحب أنفاسها بصعوبة فتبدو وكأنها لا تبتلع في الماء عنوة فتطلق فقائيع الهواء بعنف ، وجدها تنبش في أحد القبور ، نهرتها قائلاً :

- ويحك ماذا تفعلين ؟

كخفاش مذعور انتفضت ، لتقول بصوتها المخنوق :-

- أفرعتني يا زوجي العزيز ! ألا تراني أتزين لك - في ليلة - زفافنا .. ؟ أنظر متلعثماً ذات اليمين وذات الشمال لأشاهد من تعني بكلامها ، اكتشفت بأنها تخاطبني ، فقلت بلهجة قاسية :  
- أتسرقين قبور الموتى يا امرأة ؟

تسنى لي الوقت كيما أسحب سلاحي ، وأصوبه ناحيتها ، فإذا بها تقول ببلاهة :-

- يا زوجي الحبيب ! أنا لا أسرق ... فقط ... أتزين لك .

كنت مذهولاً بما يجري ، فتستطرد قائلة بصوتها الفقاعي يملأ سكون المقبرة ببقيقة مزعجة :-

- هيا تعال وشاركني فرحتي في زفافنا ، أجلس بجانبني نشاهد جميع أحبابنا الموتى قد حضروا عرسنا ، وهم يفتنون ويرقصون ، ويصفقون لنا .. هيا ... تعال ...

شلتني كلماتها ، وتراخت يدي المسكة بالسلاح ، لأسمعها تجترئ بالقول :-

- زوجي المخلص ! عملت لك سرير الزوجية فوق أحد قبور أثرياء مدينتنا .. تحرك .. لتشاركني فرحتي .

كنت دائماً واقعيًا ، ولم أحلم قط بأن أكون خيالياً ، جلتُ بنظري متفحصاً ، فتخترق عيوني العديد من الهياكل العظيمة تصطف على شكل أزواج ، والعشرات من الجماجم موزعة على مواضع منتخبة بانتقان وقد رتبت على شكل أزواج فوق القبور ، علمت ساعتها أن هذه المرأة تعيش جنونا يشابه حلقات الخوف عندما تتداح لتكبر متحملة إلى هوس مدمر ، سحبت حبلاً بجانبها ، تراجعت مذعوراً إلى الوراء ، فأصدرت الهياكل العظيمة طرطقة مزعجة بفعل تصادم العظام بعضها مع بعض ، فقالت بسداجة :-

- انظر يا عزيزي ! إنها تصفق مرحبة بقدمك .. هلم نشاركها سعادتها بعرسنا .

حاولت استرجاع جرأتي ، فلم أفلح ، نقلت بصري بينها وبين الهياكل العظيمة ، والجماجم التي تحدق بي بمحارجها الفارغة كأنها صقيع بارد يجمد الأجساد فلا تبقى سوى النظرات الباردة ، فارتفعت القعقة تصدر من حولي لتزعزع يقيني بما أشاهد ، تحسست وجهي ، وقرصت يدي بقوة فتأكدت بأنني لم أكن أحلم ، والشمس بانحدارها نحو الغروب تترك صبغتها الحمراء الكالم تعتمر بها قمم القبور ، فلم يبق بداخلي جزء إلا وارتجف ، وراح جسدي يتصيب عرقا غزيرا دامعني شعور بأن نذير شؤوم ستحملة الساعات القادمة ، فارتفع صوتها مفرقا كالانفجار :-

- يا بعلي ! سنزف خلال لحظات فهاهم أمواتنا السعداء يرتبون سرير الزوجية الذي قد صنعوه من شعر رؤوسهم حتى نوفر بالراحة . أغمض عيني لا راحتها ، فأشعر بأن قلبي السجين يقف أمام فرقة الإعدام منتظرا موته ، أنتفض فزعا إثر امساكها بي ، ويدها ذات القبضتين الوحشية تعتصراني بقوة ، فوددت البكاء ! نعم البكاء لما أنا فيه من تمرق .

فلعنك اليوم الذي عملت فيه حارسا للمقبرة ، رن صوتها وسط شعوري بالضعف والوحدة :-

- لأول مرة في حياتي أشاهد عريسا غير سعيد بزواجه ؟

فدفعتنى بعيدا عنها ، لنقول :-

- إذا كنت غير سعيد بزواجنا لماذا خطبتني إذن ؟

اختنق صوتها بداخلها ، وراحت شفتاها ترتجفان بقوة ، وعيناها السوداوان الوحشيّتان تهطلان دموعا مخضبة بالكحل ، أحسست بأنني كطائر اليوم وحيدا إلا من : مشاهداتي وحواسي كلها معطلة بفعل الارتجاف المتواصل الذي دامعني بغتة ، من أثرها سرت بداخلي قشعريرة كمن سكب عليه ماء بارداً في شتاء قارس ، أخذت بيدها ، وأجلستها فوق أحد القبور قائلا :-

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- اجلسي يا امرأة ! وستكونين بخير ...

وسيكون لك ما تشائين .

كانت مصرة على البكاء ، لتذكرني بأيامي الماضية التي أنفقتها في مراقبة بكاء ها الموتى وهم سيكون موتاهم ، فألبث مضطربا لبعض الوقت لأسألها بعدما لوعني بكائها :-

- علام تبكين يا امرأة ؟

تخرج صوتها بداخلها مندفعاً كصخرة سقطت من عل ، فقالت وهي تكفكف مطرها الأسود :-

- أنا وحيدة يا زوجي الحبيب ، وأبكي كل شيء في حياتي فحياتي عبارة عن : بكاء في ماتم . غريبا وسط الموتى أعيش ، وشعور باليأس شرع يقات علي ، ويتاكلني تعب مزمع لما أشاهد من فواجع ، أقول لها بقناعة :-

- أبكي يا امرأة ، فالدموع وحدها كفيلة بإراحتك مما أنت فيه من حزن . ارتدي الليل ثوبه الجنائزي الأسود ، واكتسمت القبور بظلام أب الحالك ، فنظرت ذاهلا مندهشا من المرأة وهي تطلب علة نقاب ، أعطيتها ما طلبت لينبعث الضوء راجقا بوهن بيده ظلمة الليل ، استطعت فيها مشاهدة وجهها المتفضع تعباً ، هامت تزرع النيران في محاجر العيون ، وكأنها فلاح يوزع شلالات الرز في أرض منقوعة بالمياه ، فتضيء جميع الشموع داخل المحاجر لينتشر النور قادما

من عصور سحيقة ، موحشة ، ليملا المكان برائحة الشمع والجماجم المحترقة ، فأقول مستطهما بقسوة :-

- أسمعيدة أنت بضوء الشموع ؟

تقول بلهجة مستهزئة :-

- قل لي بريك ! عمرك كله شاهدت فيه عروسا حزينة يوم زفافها - يوم سعدتها - فهو اليوم الوحيد في حياتها الأكثر سعادة !  
أغاضني كلامها ، فأقول لها :

- عن أي زفاف تتحدثين ؟ وأين الزوج المزعوم ؟ ومن سيرضى بك زوجة له ؟ من .. ؟  
إنها غيمة بدأت تهيم مطرا ، فاختلط صوت ضحكها بصوت صرير الصراصر الحاد ، فقالت بعدما فرغت من ضحكها المستهزئة :-

- أنت من سيرضى بي !

خرقت بدبوس طويل حاد اسماعي كلماتها ، فقلت غاضبا :-

- أمجنونة أنت .. أمجنونة أنت ؟ .. تكلمي .

تجيب بهدوء :-

- أجل ! مجنونة .. مجنونة لأنني أقتات على السعادة كما العصافير التي تعيش سعيدة وهي تزرق قبل التزاوج مجنونة لأن في أعماقي تسكن امرأة .. أنثى بانسدال ستائر الليل تتفجر بركانها من الشهوة فأعيش زافانا كل ليلة .. ينتهي بنشوة عامرة مع أحد العابرين ، حينها أنام نوما عميقا .. عميقا جدا .  
أذهل لكلماتها ، فامتثل مرغما لقسوة الحياة عليها ، والحزن يصير بداخلي ، ويكز بقوة ساحقا بأسنانه القوية على مشاعري كلها ، مما جعلني أغامر بالقول :-

- سأحضر يوما إلى هنا لنعيش زفافنا نحن الاثنين ، ونبدد وحشتنا ، ونريق غربتنا ضحية للعرس . لكن ! بنون جماجم وهياكل لأنها أمانة في عتقي فقلت بغير ما صبر :-

- ولماذا غير هذا اليوم ، فالיום هو : الخميس ، وستحي عرسنا سووية يا حبيبي ، صرير الصراصر حاد وموجع ، فتقول ودموع الفرحه تترقق في عينيها :-

- وسأنجب لك العديد من الأبناء .

ويخت نفسي لتهوري ، فقلت غير راض عن اقتراحها :-

- أتريدين أن تتجبي مجاني .. ها ... تكلمي .. أتريدين زيادة عدد مجاني العالم ؟ أم تراك تتجبن مجاني من النوع السوير ؟ .. ها .. تكلمي ..

فتقاطعتني صارخة :-

- كل الرجال متشابهون .. كلهم قساة القلوب ، وهم بلا مشاعر بينما المجانين كلهم .. أسمع يا رجل .. فهم مختلفون ، طيبون ومشاعرهم أنبل ما تكون .

لم أعان قط مثل هذا الاحساس الذي راح يمزقني بين شعوري بالعلف عليها ، وبين محاولتي للمة جنونها المتعثر ، واحتوانه فنشطت بداخلي مرارة الحياة ، ويأبني معشوب هنا في المقبرة ،

وكانني عشب ضار يقات وجعا ، ويتلبسني الانهاك كوني زمن مضى ، بل فكرة سرعان ما تناقضها حياة أرمقها الطوفان بين القبور حارسا لأناس موتى اكتشفت اليوم فقط صورهم بتجمعهم في عرس المجنونة ، فقلت بعدما انحسرت كلماتي في أحد زوايا جسدي ، وانتشلتها متسائلا : -

- ما اسمك ؟

وكانها مغامر يتسلق جبال حصاروست ، لتقول : -  
- تاجية .

أثنت إعجابا باسمها ، ولأسألها من جديد : -

- ما هي قصتك ؟

تحوم كخفاش ، وعيناها السوداويان أشبه بغرابين يبحثان عن غصن يحطآن عليه ، فتقول بلغة استكشافية لبواطن الأمور : -

- لقد زوجني أهلي عنوة ، وأنا بعد بنت في الرابعة عشرة من عمري لشخص يدعي بأنه تاجر ، فأنجبت له خمس بنات ، وولدين ... فعمد زوجي إلى بيعهم إلى أحد بيوت الدعارة في مدينة الدعارة لقد كان في حقيقة أمره : قوادا .

انتهكتني كلماتها ، ورحت أطوف بقاية القبور الصماء وأصرخ محفزا كل الموتى على - النهوض من سباتهم الأزلي ، فتشاركتني « تاجية » الصراخ والطواف بين القبور ، وهي تبكي أولاده ، وحظها ، وألمها الذي زعزع كياني ، ومرتق يقيني بالحياة ، أمسكتها من يدها مهدئا ، فداهمني منظر الدموع السابجة في الكحل الأسود ، فأقول لها بألم : -  
- اجلسي طبولك ، دقي عليها ، واقرعي عليها إنقاعا يوقظ الموتى ، فهم أصدقاء اليوم .. دعي أصابعك تضاجع طبول الفرحة . تهل وجه (( تاجية )) وهي تقول : -

- افرحوا يا أمواتنا وابتهجوا ، فإن (( تاجية )) ستزف الليلة لعريسها . تزغرد (( تاجية )) ، وتستمر بقرع طبولها المتراقصة نغماتها فوق جذع شجرة الكافور المنتصب وحيدة وسط القبور ، لتقول ثانية : -

- (( تاجية )) تنذر نفسها لمن يساعد في العثور على أبنائها ضحككت (( تاجية )) بحزن ، وصرخت تدق طبول الفرحة قائلة : -

- (( تاجية )) تهب نفسها لمن يوقظ منسي هذا العالم .. ليساعدوا في البحث عن أولادي .

تستفيق عيون الفجر ، وتدعك عيونها بأياذ من برد الصباح ، ويتأهب الفجر نديا ، فيطالعني وجه (( تاجية )) مفردا بالفرحة ، ويدها تعملان على قرع الطبول ، فاندفع محركا كل الهياكل العظمية ، والمحاجر يعينونها النارية تبارك عملنا (( تاجية )) وأنا نوقظ الموتى ، فيرتفع صراخنا مختلطا مع قرعة العظام . وأزيز الشموع المحترقة ، فسكتت بذلك كل الصراصر ، وراحت نسيمات عذاري تنعش أجسادنا المتعبة ، فأقول لتاجية : -

- يا .. تاجية ! أعلمين أن البشر مقيدون حتى وهم في مثوam الأخير . فكيف يبحثون عن أولادك ؟ .. فدعينا نحررهم من قيودهم .. ه .. تقاطعني متسائلة بغيا : -

– نحرر من ؟ الأحياء أم ...

أقاطعها بلهجة رسمية :-

– طبعاً الموتى !

\* \* \*

عارية (( تاجية )) تستلقي ، وخبوط الفجر تفتسل بدموع الشموع طاردة كل أثر للنعاس ،  
فأيقنت بانني من وضع الشمع الأحمر فوق بوابة الليلة الماضية ، فسأل الشمع الأحمر شوقاً في  
انحدار ظلفتي البوابة السحرية .

\* \* \*

تسبب الفجر ، وأغمضت عيون النار أجفانها ، وتراقصت خشخشات ناعمة أصدرتها  
إغفاء تها نشوة ، فغردت الحياة أجنحتها ، وراحت تنظف ريشها الزاهي بمناقير قدت من وهج  
الشمس ، فشرعت غريان المقبرة بالبحث عن غذائها ، وراح غراب أسود كبير بجناحين أبيضين  
عظيمين يحوم فوق (( تاجية )) المضطجعة على الأرض ، مباحدة ساقها ماوسعها مما حدا  
بالغراب مغرباً على النعيق ، فاستفاقت (( تاجية )) مذعورة ، تلقت كمن داهمها لصوص سرقوا  
سعادتها منها ، راحت تنشد منتحبة :

« شعندي وشخلت تنفك بالغراب »

تتذكر ما تنشأف خلعت الأحباب »

إلا أن الغراب ازداد صلفاً ، وأخذ يتعق بعناد بينما (( تاجية )) ترتدي ملابسها شرعت تصرخ  
بهستيرياً مؤلة :-

ARCHIVE  
http://www.egyptianbooks.com

– أغرب عني يا ابن العافرة أجنث لتعلمني بنذير شؤوم

أغرب عني ..

غادرتها متجهاً إلى مهجعي كيما أنام بعد تعب الليلة الفائتة ، فقلت وطعم اللذة المجنونة يقوم  
أسناني النخرة :-

– قولي للغراب يـ (( تاجية )) سكين وملح .

فغمزت (( تاجية المجنونة )) بعينها الباسميتين ، ولتصرخ بجنون :-

– سكين وملح ... سكين وملح .

# قصص قصيرة جداً

بقلم : ديداني أرزقي

## 1 . الوهم :

أسمع صوتك ، أتتبع مساقط ضجيجك ، فينير مساحات الشوق وأجد نفسي مستورا بك ، أرفع نحوك بصري ، أتملك ، أتمرّد على خيالاتي وتلوّب صورتك الرائعة وأرجع إلى مكاني الجامد وأعشق حضورك والغياب .

## 2 . اللقاء :

يمتد الطريق أمامه كجسد حية جامدة الحركة .. وانتصبت في خياله بكل بهائنها السرمدي .. وجهها الخمري الخالي من المساحيق ، ثوبها الخفيف والمزهر ، شعرها المرسل في فوضى .. ويعد خطواته إلى الأمام ويتذكّر : إنه التقاها ذات مساء ، كان المطر فيه غزيراً وأحبها ، ثم امحت الأشياء وحلت مكانها بكل بهائنها ، وكان يسير وحيدا إلا من حلمه باللقاء .

## 3 . العاشقة :

عندما تلتقي به ، يهرب منها الكلام ، تتحول إلى كتلة أحاسيس ويلذ لها ذلك ، كان يتجلى بكل صمته ونعافته كإله وسط صحراء .. أهملت العالم والأشياء وأخذت تنوّع وتفقد صوابها وتترقب حضوره فقط .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

## 4 . الحقيقة :

كانت تحبه ، تدمرها وتسعدها هذه الحقيقة وتلفها الأشواق لتغرس في روحها الأمل ويكبر حبه حتى جعلها تتصور بأن العالم يصغر ويتكوم عند نقطة وجودها . وكشجرة اقتلعتها العاصفة ، اختطف حبيبها ذات ليلة .. وغامت من حولها الأشياء ، كي تراه جثة مشوّمة .

## 5 . الغريب :

أسطو على لحظاتي كي أجمد الزمن ، وتلوّب مسرعة نحو البعيد ، أسير وحيدا .. وأهفو إلى فؤاد رحيم ، تتشكل أحلامي وتتبخّر وسط النعيق ، صلد هذا النهار وأنا مستوحش الروح وأكتم أنفاسي لأسقط وسط هذيانتي وأرفع نظري نحو سماء لا أراها زرقاء أو رمادية ، كانت حمراء ، وأمامي كانت الأرض هي الأخرى حمراء ، وأنزل إلى فراغ هوّ ، ولا أسمع سوى نواحي نوتها صدى .



## 6. الضيق :

تحت إبطه مجموعة جرائد ، وفي يده الأخرى كتاب . نظر داخل فضاء المقهى وبصعوبة أوجد له مكانا ، نظر نحو الخارج ، كان المطر يسقط غزيرا ، ووضع النادل أمامه فنجان القهوة ، فتح أول صفحة من الجريدة .. قرأ « شاحنة مفخخة تنفجر وتخلف عددا من القتلى والجرحى » وأصبح طعم القهوة لا ذعا ، لعن كل شي .. نفسه والزمن ، وخرج تحت المطر المدرار .

## 7. الحلم :

انفصلت الطفلة أمل عن جلسة العائلة حول التلفاز وأغلقت عليها الباب ، لتفوص وسط وحدتها ، وسرعان ما أخذها النوم إليه . كانت الزهور بيضاء ، وحمراء ، وصفراء ، وبألوان متنوعة وكانت الزهور تغطي كامل المساحة .. أحست بروحها تتفتح .. تحلق فرحا . وامتدت يدها بأصابعها القصيرة ، الرقيقة ، بينما كان شعرها الأسود يتلاعب به الهواء . وقطعت زهرة ثم أخرى حتى امتلأت محفظتها بالأزهار ، وفي طريق العودة جاءت سيارة مسرعة ، تحمل غريبا ، عنها ، أمسكوا بها وقذفوا بها نحو الجانب الآخر من الطريق ، ارتطمت بالأرض ، وسكن جسدها الصغير ، تناثرت الزهور فوق الطريق لتنوسها السيارات المسرعة .. وأفادت من حلمها على صوت الأمطار يدق النوافذ ، وعرفت بأنها كانت نائمة .

## 8. المقهى :

المقهى واسع الأرجاء ، واجهته زجاجية ، دخله ، جلس ، طلب فنجان قهوة ، كان الرواد يترشفون مشروبهم والصمت يكبلهم ، حركات أيديهم كانت مقرفة ، تعب ، وفي الركن كانت فتاة تبذل في جليستها بشراسة ذئبة جائعة ، ونصف جسدها السفلي عاريا ، فتح الجريدة ولم يستطع فهم ما يقرأ ، وضعها جانبا ، وتذكر مقهاه المفضل في قريته أين يتحلق مع الأصدقاء حول طاولتهم ، وهم في انسجام ، وقطعت شريط الذكريات امرأة بلباس رث وهي تمد يدها قائلة : « صدقة لله .. يا عباد الله .. الطيبين ... صدق لله ... » وأحس بأنه بدأ يسبح في فضاء سريالي .

# الفيديو

## بقلم : فتحية نصري

بعد أن أنهت .. المفردات الأخيرة ، ختمتها من أمك التي تعشقك ألف قبلة فقتلت في قلبها كل الأمنيات .. ثم وضعت شالها الأسود حول عنقها المترهل وخرجت والمدينة تسبح في برك المياه العاتمة ، والسيارات كزوارق تقطعت أشرعتها وغابت عنها السواري ...

خمس وعشرون سنة مضت على غيابه ... والعين ما ملت التلطف على الطريق .. عل الغائب يعود من الرحيل .. اعتادت النظر إلى معالم المارين عليهم يجيبون عن سؤال ظل كالقصة في الحلق وما ملت انتظاره ... اعتادت أن تراه يرافق أطفال الحي في اللعب ويكثر من الهرج والمرج ، منذ رحيله سكنت الشارع وغادره الصبيان ونام البيت قرب أكياس القمامة التي تجرفها سواقي المطر . بحر يهدر تقطعه أصوات المازيب المزفردة معلمة عن يوم قر لا تنتهي متاعبه يا رقية . ما هذا الجنون أفي مثل هذه الساعة تغادرين المنزل ؟ أجابت سأعود ...

كانت تراقب الجميلات كم تمت أن ترى أجملهن عروسا لذاك الذي غادر هذه الدار ليغرقها في حزن مميت ...

حملت بين الضلوع وتحملت قروح الوجع ... اغتسلت بعرق الألم ... لا احتملت ساعة الموت التي رافقت صرخة الحياة منك ...

— ساكتب باسمه كل ما أمك : قطعة الأرض والبيت الأزرق ... والشناشن \* .. ستحلي معصمها . لابد أن تكون سمراء جميلة لها شعر في سواد الليل ... ستكون الأجمل . ولدي الذي ذكرني بالأمنيات ...

ثم يا حنيني ... ثم ... لا توقظ المارد العظيم الذي تلبسني ، لماذا ترجني بين الحشى والوجدان ؟ أردتك أن تبقى منذ سنين وأنا أنتظر قدومك .

أنظر ماذا حكى لك كل ألوان الصوف ؟ قوس قزح يقارع كل الألوان وهذا الربيع الجذلان يتهاذى على قميصك .. ثم لماذا ترج الأقدام منك أمن الوجع ؟ لا ... لا سأصنع لك من الشيع والإكليل وقليل من البصل جبيرة ستتحسن يا حبيبي الذي كان القلب منه ينبض .. أدخل وافتح الدرج .. ستري كل العرائس للبهتان . تسعة أشهر والقلب ينبض منك والجرح سكين يخالل موطن الألم ... أمشي الهويني .. أنتخطى العتبات في وجل حتى لا أقلق قلبك الطافح بالبشر .

آه يا بركان أشجاني كم أسمعك من مواويل . كم زادت سيدة الصباح في خدرك بذلك الصوت الحالم ...

شادي .. تسعة أشهر والنبض منك يستمد الحياة ، كم حملت بعيون عسلية تماري عرائش التين .. ورموش سرقتها ذات مساء من ليل أيلول ... أكل من أجلك .. أنتشهي ... وأنتشهي لك التفاح ... حبيباتي لا تلمن شره الوحم مني فلي في القلب برعم ينمو وينمو يا هذا الزمن الغائر

في الأفق البعيد عد وثيدا فما ملئت الإنتظار .  
يا شادلية أرجو أن تسرعي في اتمام الشراشف لوثيها بكل ربيع هذه الجبال القصية ... بدون  
نوق ، لا يهم ، المهم أن أرى الربيع بين جوانحه يرفّ على الخدود ... ويصنع الأمنيات .  
كأن كل نساء هذا الوطن أصابهن العقم بونك يا رقية ... استلدين لنا فيلسوف الزمان أم أنه  
" دلال نساء " ؟

هزي عليك بكل جنوح الخلد وأطعميني لابد أن لا أكف عن الإشتهاء ...  
تمر الزيام متراقصة تداعب أحلام العذارى وتدهن بيوم يثمر فيه الحب ... زهرة بريّة ريانة  
تذكر بقصة ما ماتت في العيون ...

المهد ... هدهديه .. « ناني .. ناني جاك النوم أمك قمره وبيك نجوم ... »  
أضيني كل النجوم أسهرين حتى موعد ليلة القدر لابد من خيلتك أيها القمر ... الوليد أبيت يا  
شادلية أناجيه ...

أكثر من مناجاته حتى أصبح لا يحلو له إلا أن نترع بجانبه طوال النهار ...  
شادي أمنية الأمل الفائرة كنت كما الحلم ... عيون عسلية وخدود عرش بينها الحب والورود  
الحمراء .

رمت برسالتها في الريح وهي العاقر التي تمنّت ولداً يتخطى في الأحشاء منها وما ملت الإنتظار

أحترق كل ساعة كشعلة تتلاعب بها رياح خريفية .. أنتظر .. الأمل الذي سيغير مجرى هذا  
الكون . كانت تراقب الريح التي لعبت بورقتها الطائرة .. تساءلت في ومن هل يمكن أن تسافر  
وراء البحر حيث .. ينتظرنني .. ما كتبت له منذ مدة .. هل فتح نافذته خلصة ليدخل البجع  
المسافر ؟ لماذا منا هذا الزمن فرحة اللقاء بكم يا هذه الوجوه التي ترحل وقد لا تعود ؟ .. كيف  
يمكن لأم أن تنتظر جنة هادمة معلقة . كما السردين ؟ ! جرى الأطفال وراها « المجنونة ...  
المجنونة .. » لا ، لا لست كذلك ! لقد قتلتم ولدي ، واريته التراب معلقاً وما عقرت وجنتاي  
ملاحه القاسية . عاش غريباً ومات هناك ... ساهديه أغنية الدوري ... فغني له تحت الدوالي ..  
غنوا لعرس اللقيد غنوا ...